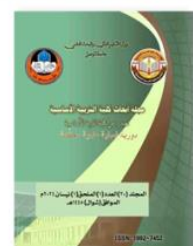




College of Basic Education Research Journal

www.berj.mosuljournals.com



The implications of deviating speech from the apparent context in Surah (Aal-E-Imran) / A rhetorical study

Khuncha Sabah Ahmed

University of Salahaddin/College of Education- Shaqlawa

Article Information

Article history:

Received: January 13,2024

Reviewer: March 9,2024

Accepted: March 14,2024

Available online

Keywords:

**Apparent Meaning,
Manifestation, Ellipsis, Diversion,
Implications of Prohibition**

Correspondence:

khuncha.ahmed@su.edu.krd

Abstract

This research examines various forms of deviation from the apparent meaning in Surah Al-Imran, employing a rhetorical analysis. The study delves into the phenomenon of speech deviation from the apparent meaning, analyzing its manifestations, and exploring the rhetorical devices employed, such as diversion, manifestation, ellipsis, expressing the past through future terminology, and vice versa. The research aims to uncover the rhetorical secrets behind these linguistic deviations.

At the conclusion of the study, the researcher arrived at several key findings, notably that the examination of this linguistic phenomenon revealed some artistic techniques that justify the transition from implicit to explicit and vice versa. The study also highlights the significance of various forms of speech deviation, such as diversion and expressing the past through future terminology, as important rhetorical methods discussed by scholars of rhetoric and interpretation. These methods play a crucial role in conveying meanings to the reader more clearly.

Furthermore, the research establishes the uniqueness of the Quranic text by showcasing a set of stylistic deviations from the apparent meaning in Surah Al-Imran. It solidifies the strong roots of Quranic rhetoric in the field of rhetorical Quranic studies, emphasizing that the Quranic text remains an eternal miracle across ages and times.

من مظاهر خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة آل عمران / دراسة بلاغية

خونجه صباح أحمد

جامعة صلاح الدين كلية التربية شقلاوة

ملخص البحث:

يقوم هذا البحث بالنظر في بعض صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة آل عمران دراسة بلاغية، وقد تناول هذا البحث ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام دراسة تحليلية لعدد من أنماطه وأشكاله، والوقوف على النكات البلاغية والخصوصيات البلاغية التي جاء عليها أسلوب الخروج عن مقتضى الظاهر، ومن هذه الأشكال: الالتفات، والإظهار والإضمار، والتعبير عن الماضي بلفظ المستقبل وعكسه والأسرار البلاغية التي جاءت من أجله، وتناولت الباحثة دلالات الإنشاء في سورة آل عمران، كما تناولت دلالات أسلوب القصر في سورة آل عمران.

وفي نهاية البحث توصلت الباحثة إلى النتائج المهمة هذه الظاهرة البلاغية ومنها: الكشف عن الأسرار السياقية والبلاغية التي من أجلها جاء الانتقال من المضمرة إلى الظاهر، ومن الظاهر إلى المضمرة، وكذلك كل صور الخروج عن مقتضى الظاهر من التفات، ومن التعبير بالماضي عن المستقبل وعكسه وهي من الأساليب السياقية والبلاغية المهمة التي تناولها جلة من علماء البلاغة والتفسير، وما يملكه في إيصال تلك الدلالات بأوضح نمط وشكل إلى القارئ والمتلقي.

كما أن هذا البحث جاء إثبات تفرد النص القرآني بمجموعة أساليب من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة آل عمران، وترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية في الدراسات البلاغية القرآنية تعكس أن النص القرآني معجزة خالدة على مر العصور والأزمان.

الكلمات المفتاحية:

مقتضى الظاهر، الإظهار، الإضمار، الالتفات، دلالات النهي.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن البلاغة العربية من أهم العلوم لفهم كتاب الله وأرفعها، وأسأها مكانة ومنزلة، لأنها تتعلق بأصدق كلام، كتاب الخالق تبارك وتعالى إذا إنها تبين جمال أسلوبية القرآن الكريم وتبرز معانيه ودرره البلاغية لذلك جاءت دراساتي البلاغية في سورة آل عمران لمبحث خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

تقوم الفكرة الجوهرية في البلاغة العربية على إيصال المعنى الدلالي إلى المتلقي بحيث يراعي في ذلك أحواله من الجانب العقلي والجانب النفسي؛ فبأي المعنى الدلالي ليطابق أحوال المقامات، وهذا المفهوم يتطابق مع تعريف البلاغة القائم على أنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن لكل مقام مقالاً، ولكل كلمة مع صاحبها مقال؛ ومحجى الكلام طبقاً لهذا المقال هو أصل البلاغة، وشرطها الذي لا بد منه، ولكن قد يأتي الكلام بخلاف مقتضى الظاهر، وهذا الأمر تقتضيه خصائص بلاغية وأسرار ونكات، يقصدها البلاغي كل حسب فهمه للسياق.

وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر من خلال الإظهار في مقام الإضمار، ومن صور الالتفات، ومن التعبير عن الماضي بالمستقبل وعكسه، وهذا ما يوضحه البحث في التطبيق على سورة آل عمران.

وحقيقة الأمر أن المسند إليه له ضوابط وقواعد بلاغية لا يخرج عنها، ولكنه قد يخرج عنها لفوائد ونكات بلاغية تراد من هذا الخروج أي: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ويعد هذا المبحث من أهم مباحث علم المعاني.

أما أسباب اختيار البحث فهي رغبتني الشديدة في دراسة البلاغة القرآنية للحصول على الثواب من الخالق سبحانه وتعالى، وأهمية دراسة ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر بوصفه من أهم الأساليب البلاغية في علم المعاني، وإثراء المكتبة البلاغية القرآنية بدراسة تتناول دلالات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة آل عمران، وأخيراً الاهتمام بأكثر من صورة لصور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، وبالنسبة للدراسات السابقة فلا توجد دراسة بهذه الظاهرة في سورة آل عمران تحديداً.

وتكمن أهمية البحث بأن البلاغة العربية القرآنية من العلوم التي تشرف البلاغة العربية بدراساتها ومن هنا هدفت في هذه الدراسة أن تكون دراستي لسورة آل عمران بتطبيق دلالات الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام القرآني دراسة بلاغية، وأهداف البحث فهي ترسيخ الجذور القوية للبلاغة القرآنية في الدراسات البلاغية العربية، وإثبات تفرد النص القرآني في أنماط ونكات بلاغية لصور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في البلاغة العربية ودلالاتها في سورة آل عمران، كذلك إثبات بلاغة وإعجاز النص القرآني، وفيما يخص منهج البحث فقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أسير على وفق لمنهج الوصفي التحليلي لعدد من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة آل عمران، وخطة البحث تقتضي أن نقسمه إلى المقدمة وثلاثة مباحث، والخاتمة على النحو الآتي :

المقدمة: تتناول أسباب اختيار الموضوع، وأهميته وأهدافه، والمنهج المتبع، وخطة البحث.

والمبحث الأول: دلالات الإظهار والإضمار في سورة آل عمران، ويتناول المطلب الأول: الإظهار والإضمار لغة واصطلاحاً، والمطلب الثاني: بلاغة الإظهار والإضمار، والمطلب الثالث: الإظهار والإضمار في سورة آل عمران.

والمبحث الثاني: دلالات الالتفات في سورة آل عمران، ويتضمن المطلب الأول: الالتفات لغة واصطلاحاً، والمطلب الثاني نشأة الالتفات وبلاغته، والمطلب الثالث: دلالات الالتفات في سورة آل عمران.

والمبحث الثالث: دلالات الإنشاء في سورة آل عمران، والمبحث الرابع: دلالات القصر- في سورة آل عمران، أما الخاتمة: فتتضمن أهم نتائج البحث وأهم التوصيات وثبناً بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: الإظهار والإضمار في سورة آل عمران

المطلب الأول: الإظهار والإضمار لغة واصطلاحاً

أولاً: التعريف اللغوي للإظهار: يشير أصحاب المعاجم العربية إلى أن مصطلح "الإظهار" يعبر عن بروز الشيء ووضوحه، إذ يظهر بشكل ملحوظ ويبرز إلى الواجهة. فيتجلى ويكشف عن نفسه، ويتناقض ذلك مع مفهومي الإخفاء والإضمار (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٤٧١/٣)، و(ابن منظور، د، ت، ٥/٤٩١).

التعريف الاصطلاحي للإظهار: يعد الإظهار تناقضاً ومقابلاً للإضمار، إذ يُعرف بإبداء اللفظ وتسليط الضوء عليه في السياقات التي تستغني عن الاستتار. يتم ذلك بهدف التعبير عن نكت بلاغية، يسعى المتكلم لتحقيقه (طباطبة، ١٩٨٢م، ٥١١/٢).

التعريف اللغوي للإضمار: إنه مصدر مشتق من الفعل "أضمر"، إذ يُفهم بمعنى الإضمار، أي القيام بالتخفي والاختفاء. قد أوضح ابن منظور هذا المفهوم بوصف "أضمرت الشيء" كفعل يعني إخفاؤه، وأوضح أن "أضمرته الأرض" يعني غيابه، سواء بسبب الموت أو الرحيل (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٤٩٢/٤).

التعريف الاصطلاحي للإضمار: يعرف الإضمار في الاصطلاح بأنه إسقاط الشيء لفظاً لا معنى فقال الكفوي في حده: الإضمار هو ما يترك ذكره في اللفظ، ويكون المقصود به بالضبط في النية (الكفوي، د، ت، ٣٨٤).

من يتبع مصطلح "الإظهار في مقام الإضمار" أو عكسه عبر الأزمنة يجد أنه مصطلح بلاغي، جرى على ألسنة القدماء والمحدثين ومعناه: أن يكون السياق يقتضي- أن يؤتى بالضمير، ولكن يؤتى بالظاهر مكان الضمير والعكس صحيح ولقيت بلاغة الإظهار في مقام الإضمار " في القرآن الكريم عناية واهتماماً بالغين من الأصفهاني، ولعل السبب في هذا الاهتمام يعود أساساً إلى عنايته بالبلاغة القرآنية؛ لأنها أساس في فهم النص القرآني.

وقد يعدل المتكلم من صيغة إلى صيغة أخرى لمعنى لغوي بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى الدلالي، وكل اختلاف في الصيغة يتبعه اختلاف في المعنى، فيختار المبدع بحسبه المرهف المعاني التي يكون أكثر دقة في التعبير عن قصده وأعمقها أثر في النفس لما تقدمه من دلالات وإيجاءات يفهمها المتلقي من خلال السياق، والحق أن كل عدول من صيغة إلى أخرى لا بد من أن يصحبه عدول من معنى إلى آخر، وبذل هذا العدول على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه البلاغي.

المطلب الثاني: بلاغة الإظهار والإضمار

الإظهار والإضمار من القضايا البلاغية التي اهتم بها علماء البلاغة ؛ فقد حرصوا على تقصي- الاستعمال لكل من هذين الأسلوبين - الإظهار والإضمار - بغية التعرف على دلالة كل منهما داخل النص ، إذ يرد المسند إليه تارة مظهراً ، وأخرى مضمراً ، كما يكون المسند أيضاً كذلك؛ فإن الاسم إذ ذكر أولاً ، فلا يعاد مرة ثانية ، وإنما يذكر مضمراً ؛ لأنه أوضح للمعاني وأوجز للفظ فإذا خالف هذا الأصل فلا بد أن تكون لنكتة بلاغية يقصدها المتكلم ، ولهذا تحدث الزمخشري عن بلاغة الإظهار في مقام الإضمار فقال : إذا تم نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، يُعتبر ذلك فعلاً فعالاً في تحفيز نشاط السامع، وبشكل إيقاظاً لاهتمامه بدلالات الأسلوب المتنوع. يظهر هذا الإجراء كوسيلة مؤثرة لتحفيز الانصراف إلى الاستماع بانتباه، خاصةً عندما يتضمن التبديل بين أساليب متنوعة، ويمكن أن تكون المواقع المختلفة في النص متخصصة في إبراز فوائد محددة (الزمخشري، دت، ٥٦/١) .

وقد وضع العلوي في كتابه الطراز بلاغة الإظهار في مقام الإضمار بقوله: ((واعلم أن هذا وإن كان معدوداً من علم الإعراب، لكن له تعلق بعلم المعاني، وذلك أن الإفصاح بإظهاره في الإضمار له موقع عظيم وفائدة جلية)) (المني، دت، ١٤٨/٢)، ولقد وضع النحاة قاعدة ثابتة للضمير لخصها الزركشي- حين قال إن: المضمَر يظهر فقط بعد الظاهر تعبيراً وترتيباً، إلا في سياقات ضمير الشأن والسرد، وبإبـاع نعم وبئس (الزركشي، ١٣٩١هـ، ٤١/٤-٤٢).

وينبغي أن نعلم أن هذه المخالفة -كما أشرنا -إنما هي لظاهر الحال، فالكلام وإن جاء مخالفا لما يتطلبه الظاهر، فإنه موافق لما يتطلبه المعنى في السياق، ويتطلبه المقام، ولا يظهر ذلك إلا لمن غوص في أغوار المعاني، وتغلغل بفكره في أعماق دلالات التراكيب، فهو الذي يتجلى له ما وراء مخالفة الظاهر من أسرار ومزايا وأهداف يقصد إلى تحقيقها.

ولهذا الخروج على خلاف مقتضى ظاهر السياق أنماط عديدة: منها: وضع الاسم الظاهر موضع الاسم المضمر؛ وذلك أن الاسم الظاهر عندما يذكر في السياق، ثم يعاد هذا الاسم مرة أخرى، فإن أصل التركيب أن يعاد ذكره بنوع من الضائر التي ترجع وترد على الاسم الظاهر المسبوق عليه، فإذا خولف ذلك، وعبر عن الضمير بالاسم الظاهر؛ فإنه يعد خروجاً عن أصل الكلام، وهذا الخروج يقتضيه أسرار وخصائص بلاغية، تتجلى لمن أنعم النظر في السياق ومقامه، ولا شك أن النص القرآني لا تفسر - الجملة منه، أو اللفظة منفردة، وإنما يفسرها ما حولها من ألفاظ وجمل وآيات قد تمتد إلى النص القرآني كله، وهو ما نسميه السياق اللغوي، وقد يفسرها ما هو خارج عن النص القرآني.

ولقد ذهب الدكتور " مختار عطية " إلى اقتراح حلٍّ لهذه المشكلة عبر جعل كل ضمير يعود إلى الغائب اسم إشارة، إلا أن اسم الإشارة بحاجة، من الناحية المنطقية، إلى مرجع أو عائِد. وبالتالي، يتعين علينا بالضرورة البحث عن هذا العائد الذي يتصل باسم الإشارة. (عطية، ١٩٩٠م، ١٢٣).

ولقد " لحظ البلاغيون أن دراسة وضع المظهر موضع المضمّر، وعكسه، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه؛ لأنها من أحواله فأقنوهوا به، كما خطوا أن أساليبها بما لا تجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموها لخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر" (محمد أبو موسى، ١٩٩٩م، ١٨٧).

المطلب الثالث: دلالات الإظهار والإضمار في سورة آل عمران

ومن دلالة الإظهار والإضمار في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿الْمُحَقِّلِينَ﴾ **المَحْقُولِينَ** بفتح الميم، والخنق النزع ملك الموت، المحقق المُنْزِلُ الويكامة.

الْإِسْتِخَارَةُ الْمُسْتَعْلَاةُ النَّسَبُ الْقَارِئَةُ عَبَسَ الْتَّيْمُونُ الْإِنْفِطَارُ الْمُطَفِّفِينَ الْأَشْفَقُ الْبُرُوجُ الطَّارِقُ الْأَعْلَى الْعَاشِيَةُ

الفَجْرِ الْبَسَادِ الْبُشَيْرِ اللَّيْلِ الضَّحَى الشَّرْحِ التَّيْنِ الْعَلَقِ الْفُكْرِ الْبَيْتِ الْوَالِدِ الْعَادِيَةِ الْفَطْرِ وَالْفَجَاءِ)

آل عمران، الآية: ١٨٠). وعلق عليه الفراء بقوله: ((فلا يحسبن الباخلون أن البخل هو خير، فاكنتي بذكر ييخلون دون البخل، كما تقول في الكلام: قدم فلان فسررت به، وأنت تريد: سررت بقدمه، وقال الشاعر: إذا نهى السفية جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف

يريد إلى السفية)) (الفراء، ١٩٨٣م، ٢٤٨/١-٢٤٩). ومن ذلك جاء أيضا عند سيويه والأخفش والمبرد والزجاج والنحاس (الفراء، ١٩٨٣م، ٢٤٨/١-٢٤٩)، وهكذا يتحكم المعنى في مرجع الضمير، بل إن الضمير قد يعود على لفظ في الجملة، لكنهم يقدرون معناه مرجعا للضمير، فيقولون: إن

الضمير عائد على معنى اللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿عَلَيْكَ الْبُكْرَةُ الْأَيْتُهَا﴾ المطففين الاستفهام البروز الطلاق الأعلى

الْعَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبُحَارِ الشَّيْخِ اللَّيْلِ الضَّحَى السَّرْحِ التَّيْنِ الْعَلَقِ الْفُكْرِ الْبَيْتِ الزُّلْمَةِ الْعَنَادِيَةِ الْفَلَكِ عَمَّا

(آل عمران: ١٦٥)، وهذا ما رجحه الإمام سيديويه بقوله: " كأنه قال: ولا يحسبن الذين يخولون البخل هو خيراً لهم. ولم يذكر البخل اجترأ بعلم المخاطب

بأنه البخل، لذكره ييخلون " (سيبويه، ١٩٨٨م، ١/ ١٧٠)، وأشار أبو حيان: في "هو" بأنها الإضرار إلى المصيبة من حيث المعنى، وليس من حيث اللفظ (الأندلسي، ١٩٩٢م، ٣/ ١٠٧). وهناك دلالات إيجائية سياقية لوضع الظاهر موضع المضر يهدف إليها الباحث في دراسته لبيان الإنجاز السياقي البلاغي فيها:

ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الشَّيْطَانَ إِنَّهُ يَجْعَلُكَ الْوَغَىٰ﴾ (ال عمران: ١٦) ، كان مقتضى الظاهر أن يقال: " من يكفر بآيات الله فإنه " بالمضمر لتقدم المرجع لكنه عدل عن هذا الظاهر، وأظهر الاسم الجليل لله دلالة وخصوصية بلاغية التربية للمهابة وإظهار الروع في النفوس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُورَةُ الْفَاتِحَةِ بَيِّنَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ الْأَنبِيَاءُ الْأَنْعَامُ الْأَعْرَافُ الْأَنْشَارُ﴾
 ﴿الْقَوْمِ يَوْنِسَ هُوَذَا يُومِنُكَ الرَّحْمَنُ إِنَّا هَمِمْنَا فَالْجَبَّارِينَ الْأَنْبِيَاءُ الْكُهُونُ كَرِيمًا طَائِفَةَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ (آل عمران: ٢٦)، وكان مقتضى- الظاهر أن يقال " تَوْتِيَه " بالمضمر لتقدم المرجع لكنه عدل عن مقتضى- الظاهر ، وأتى بلفظ الاسم الظاهر الملك لإفادة إزالة اللبس ، لأنه سبحانه وتعالى لو قال تَوْتِيَه لأوهم أنه الأول ، ففائدة المظهر هنا الدلالة على إزالة اللبس حيث يوم الضمير أنه غير الأول .

وهذا ما بينه الإمام السيوطي بقوله : " إن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله لأن الإعطاء له مطاوع تقول أعطاني فعطوت ولا يقال في الإيتاء أتاني فأيتيت وإنما يقال أتاني فأخذت والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له لأنك تقول قطعتَه فانقطع فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفاً على قبول في المحل لولاه ما ثبت المفعول ولهذا يصح قطعتَه فما انقطع ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك فلا يجوز ضربته فانضرب أو فما انضرب ولا قتلته فانقتل ولا فما اقتتل لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها فالإيتاء أقوى من الإعطاء قال وقد تفكرت في مواضع من القرآن فوجدت ذلك مراعى قال تعالى تؤتي الملك من تشاء لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلا من له قوة " (السيوط ، ١٩٧٥ ، ١ / ٥٧٢) .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الْمَبْنِيَّاتِ النَّارِ عَاسٍ تَكُونُ الْأَنْفُسُ الْمَظْفُوفَاتِ الْأَشْيَقَاتِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الرَّائِيَّ الْعَاشِيَةَ الْفَجَرَ الْبَلَدِ الْيَمِينِ اللَّيْلِ الضَّحَى الشَّرْحَ الْتَيْنِ الْعَلَقُ الْفَلَاةِ الْبَيْتَةِ الْهَزَلَةِ الْعَجَائِلِ الْفَلَعَةِ الْبَكَاةِ﴾ (آل عمران: ٢٩)، كان مقتضى -الظاهر أن يقال بالمضمر على تقدير: " وهو على كل شيء قدير " لتقدم المرجع لكنه عدل عن هذا الأصل مقتضى -الظاهر ، وأتى بالاسم الجلالة الله في الآية وقال سبحانه وتعالى: " والله على كل شيء قدير " وذلك لدلالة بلاغية الترية والمهابة وتهويل الأمر على تقدير وضع المظهر موضع المضمر ، وهذا يشير إلى أن الله قدرا على كل شيء في السموات والأرض فالله سبحانه وتعالى قادر وقدير ، والشئ مقدور عليه والله قدير على كل شيء .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحِيمَ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣١)، وهذه الآية من قبيل موضع المضر موضع الظاهر فمقتضى الظاهر أن يقال: "وهو غفور رحيم" بالإضمار لتقدم الاسم الظاهر فعدل عن مقتضى الظاهر وأتى بالاسم الجليل وهذا دلالة بلاغية الاستتباع لوصف الألوهية لإظهار الرحمة والمغفرة، وعبر سبحانه وتعالى بالاسم الظاهر الله بدلا من الضمير لمزيد من إيقاع التفضيم والتعظيم وتحقيق المغفرة والرحمة.

ويتضح من السياق النص للآية الكريمة أننا نفسر كلمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بمعنى: يحذفون: ﴿اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (آل عمران: ٧٨)، ولتظنوا أن الذي يحذفونه ويغيرونه بألفاظهم ومعانيهم من القرآن الكريم وأنه منزل من عند الله. وأن الله سبحانه وتعالى يقرر بأن هذا التحريف والتغيير والتبديل الذين أحدثوه في القرآن ليس من عند الله بل من عند أنفسهم وزعمهم بالباطل فليس هذا التحريف والتبديل من عند الخالق الذي نزل به على أنبيائه عليهم جميعا الصلاة والسلام، فالقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّحْمَنَ بِحَمْدِهِ الْغُيُوثُ الْإِنْسَانُ﴾ (الحجر: ٩)

ويقول عز وجل: ﴿تَعَالَى﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾ (آل عمران: ٧٨)، ويتضح من السياق النصي - لهذه الآية أن الكفار دائماً يقصدون ويعتمدون الكذب والافتراء على الله والرسول صلى الله عليه وسلم فمن يتأمل في نظم النص القرآني المعجز بلفظه ومعانيه وتراكيبه وصوره يجده من عند الله وليس لأحد من البشر - فيه بلفظ أو بدلالة فالله يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **قال تعالى:** ﴿﴾

﴿ويؤكد الخالق هذا الكلام بقوله تعالى: ﴿صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ قَالَ: ، ومن ينعم النظر في النص القرآني يجد أن الخالق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة كرر كلمة الكتاب ثلاث مرات وبهذا أتت الآية على خلاف مقتضى الظاهر لأنه سبحانه وتعالى لو أجرى الكلام على الأصل لقال في الآية الكريمة وجاء تقدير الكلام. يلوون ألسنتهم بالكتاب ؛ مصرحاً في الأولى الاسم الظاهر ، ثم يضره في الجملة الثانية ويكون التقدير لتحسبوه منه ، ثم يضره في الجملة

الثالثة وتأتي مقدرة بقوله تعالى : " وما هو منه " ، في حين جاء التركيب الثاني في قوله تعالى : ﴿صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ﴾

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمُ قَالَ: إذ كرر الله سبحانه وتعالى لفظ الجلالة مرتين الأولى هو من عند الله ، والجملة الثانية وما هو من عند الله " وجاء الكلام على غير مقتضى الظاهر لأن مقتضى الظاهر أن يقول سبحانه وتعالى : ويقول هو من عند الله بذكر لفظ الجلالة الله الاسم الظاهر وكان مقتضى الكلام أن يقول سبحانه وتعالى وما هو من عنده ، لكنه عدل من الضمير إلى الاسم الظاهر لنكتة بلاغية هي التأكيد والتعميم للتهويل من فعلهم وقولهم بدون وجه حق فذكر لفظ الجلالة مرتين للاهتمام بالخبر المتعلق بها (الرازي، دت، ١٠٨/٨) و (البقاعي، ١٩٩٢م، ٤٦٥/٤) و (القزويني، ١٣٠٦هـ، ٥٢/٢) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ٢٠٥/٣) و (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٩٣/٣).

ويتضح من سياق الآية ومقارنتها أن الإظهار في موضع الإضمار في الآية القرآنية الكريمة للتهويل من أفعالمهم وأقوالهم وتحريفهم وادعائهم أنه من عند الله وهو ليس من عند الله وإنما من عند أنفسهم ولهذا أتت الآية القرآنية للتحذير والترهيب من هذا الصنيع ونسبته هذا التحريف ظلماً وبهتاناً إلى الله وافتراء بالكذب والباطل على خالقهم ولهذا كذبهم الله تعالى وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ولما كان كلام الله - سبحانه وتعالى - له من الجمال والهيبة في النفوس بحيث لا يلتبس بغيره من الكلام إلا على فاقدة العقل والقلب معاً، ولهذا عبر النص القرآني بلفظ " لِيَحْسَبُوهُ " فالحسبان من أجل التنفير من الاستماع والسماع لمثل هؤلاء المكذبين الضالين ، ولقد أدى السياق اللغوي في وضع الإظهار موضع الإضمار ولذلك جاء التعبير بالمضارع في تلك الأفعال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **صَدَقَ اللَّهُ** للدلالة على تجدد ذلك.

ويحتمل أن يكون اللبي في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجازاً عن صرف المعنى إلى معنى آخر، كقولهم لوى الحجة، أي: ألقى بها على غير وجهها، وهو تحريف الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة، والأقيسة الفاسدة، والموضوعات الكاذبة، ويضيفون ذلك إلى الله جل قدره، وأياً ما كان، فهذا اللبي يقصدون منه التهميش على المسلمين (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٩٢/٣).

وأضيف أيضاً وجهاً بلاغياً في تفسير هذه الآية الكريمة أن جملة: "وَهُمْ يَعْلَمُونَ" جملةٌ حاليةٌ قَدِمَ فيها المسند إليه على المسند الفعلي لتقوية الإسناد فيها وتأكيد، لأن مقتضى الحال يستدعي التقوية والتأكيد ؛ والسبب في ذلك أن هؤلاء كانوا يكتبون مكتوبات يزعمون أنها مما أنزل الله في الكتب على رسلهم، ويتخذون مع ذلك حيلةً لترويج ما كتبوه وافتروا على الله بغية أن يقبله عوامهم، وهي أن يُلَوِّوا ألسنتهم به لدى تلاوته، كما يفعلون لدى تلاوة ما أنزل الله من كتاب، فيخلطون المدسوس الذي هو من افتراءهم بالأصل الصحيح، للإيهام بأنه من كتاب الله، وهم بذلك يقولون على الله الكذب، ويعلمون ذلك من أنفسهم.

تعالى: ﴿يَسِّرْ﴾ ويتضح من الآية الكريمة الإضمار وتقديره في الآية الكريمة ومعه ربيون كثيرون فخرج عن الأصل الظاهر إلى الضمير في كلمة معه ، والوجه الثاني الدلالي في الآية الكريمة على تقدير أن ينال القتل من النبي ومن معه من جموع (البغوي، ١٩٩٩م، ١/١١٦)، وما يرجح دلالة الإظهار في موضع الإضمار قول الإمام الألويسي في تفسير قوله تعالى: ﴿الْطُّفَى الْبَيْتُ الْقَيْسِي﴾ (آل عمران: ١٤٦)، وهذه الجملة القرآنية من قبيل وضع الظاهر موضع المضمَر فهي بهذا خرجت من أصل معناها إلى خلاف مقتضى الظاهر لبيان الثناء والمدح لمن صبر من المسلمين وفيه فائدة بالشعور بسبب العلة لهذا الحكم الإلهي ، كما أن هذه الجملة القرآنية جاءت للتأكيد لمضمون الجمل السابقة على سبيل الإطناب ونوعه التذييل للسياق النصي السابق عليها (الألويسي، ١٩٨٥م، ٢/٢٥٦)، ويتضح من سياق كلمة ﴿الْقَيْسِي﴾ وعلاقتها بما قبلها وبعدها أن يكون، والله يحجم؛ وذلك لبيان المدح للربيين ببيان حالهم من الصبر وهذا يعد علة وسببا للحكم التي سيقَت الآية الكريمة من أجله.

الْمُحَجَّجَاتِ ﴿٧٦﴾ (آل عمران: ٧٦)، بيان الغاية في وضع الإظهار موضع الإضمار في الآية، فلا بد من أن تعرض الباحثة للضمير في قوله: "عَهْدِهِ"؛ لأن في بيان الاسم الظاهر دلالة لجلاء الأمر وبياناً له؛ فرجوع الهاء في عهده تعود إلى الله سبحانه وتعالى والذي يرجح ذلك ما جاء من السياق اللغوي لمراعاة السابق باللاحق، فمرجعه، قيل: "مَنْ"، وقيل: يعود إلى الله سبحانه وتعالى، فهو يحتمل وجهين: الوجه الأول المصدرية المضافة للمفعول أو للفاعل وهذا يتطلب ضميراً يعود على "من" فهذا الاسم الظاهر يقام مقام الاسم المضمر في الربط بين لفظ المتقين ولفظ من أوفى، وهذا دال على العموم والشمول في لفظ المتقين، وإنما وضع سياق المظهر موضع سياق المضمر؛ تسجيلاً على الموفين بالعهد بالتقوى، وهذا لمراعاة الفاصلة القرآنية ورأس الآية (الخلي، ١٩٩٤م، ١٤٤/٢) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ٢٠٣/٣).

وقد جاء الضمير يعود على الله سبحانه وتعالى؛ لأن الحرف "بلى" من الحروف التي يكثر في جواب الاستفهام المنفي، ولكنه في سياق هذه الآية الكريمة جيء به في الجواب يتضمن دلالة العموم والشمول ليحتوي هذه الدلالة المقصودة وغير المقصودة بعبارة تتسم بالإيجاز والقصد في اللفظ والمعنى لدلالة الأمانة على العهد وقد عبر بالجملة المذيلة في قوله تعالى: "فإن الله يحب المتقين" تذييلاً لتأكيد مضمون الجملة قبله (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٨٩/٣).

وفي هذا الشاهد السابق دليل على ذكر اسمين في السياق اللغوي ويعود الضمير إلى أحدهما وهنا يلجأ النحاة والمفسرون إلى تفسيرات نحوية وأخرى دلالية في تحديد مرجع الضمير، وقد ترجم تلك التفسيرات الدلالية إلى اللجوء إلى ظروف خارج النص القرآني هي سياق الحال فيحكمونها في المرجع.

وقد يكون التعبير بوضع الاسم الظاهر وضع الاسم المضمر للدلالة على التعميم في الحكم كما في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مُجْتَمِعَانِ فِي ذِكْرِهِ ۚ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مُجْتَمِعَانِ فِي ذِكْرِهِ ۚ﴾ (آل عمران: ٣٢)، فأثار الظاهر على المضمر في قوله تعالى: "فإن الله لا يحب الكافرين" خرج عن مقتضى الظاهر لإفادة نكتة بلاغية لشمول الحكم المتعلق بجميع الكفار فلا يستثنى منهم واحدا ولهذا سخط الله عليهم بسبب كفرهم ومع ذلك إيذان بأن التخلي عن طاعة الله ورسوله كفر حقيقي عقابه النار، وهذا في مقابل البيئة التضادية الموجهة للمؤمنين فحببتهم لله وللرسول توجب الجنة للمؤمنين وهذا يدل على التخصيص (البيضاوي، دت، ١٤/٢) و (القوجي، دت، ٦١٨-٦١٩) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ١٣٠/٣)، وترجيح الاسم المظهر على الاسم المضمر بطريق بالاتفات.

وقد يوضع الظاهر وضع المضمر "للتوكيد ولقصد الاهتمام بالمذكور"، كما في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (آل عمران، الآية: ٧٨)، فمن يتأمل

السياق النصي في هذه الآية الكريمة يدرك أن الله - عز وجل قال في: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

العظيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، حيث كرر لفظ الكتاب ثلاث مرات،

فلو جرى على الأصل لقال في الأولى: يلوون ألسنتهم بالكتاب؛ لتحسبوه منه، وما هو منه، وفي تقدير الجملة الثانية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ العظيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقد خرج الكلام عن مقتضى الظاهر عن طريق العدول من الضمير إلى

الاسم الظاهر فالأصل في الكلام أن يقول هو من عند الله، وما هو من عنده؛ ولكنه سبحانه وتعالى خرج بهذا إلى الاسم الظاهر للفت انتباه السامعين لمزيد من الاهتمام والتوكيد من التصريح بالتعميم والشمول وللتحويل (الرازي، دت، ١٠٨/٨) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ٢٠٥/٣) و (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٩٣/٣).

ويوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على بيان الإحسان، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلُونَ﴾

﴿الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (آل عمران: ١٤٨)، يتضح من السياق النصي- للآية الكريمة أنه سبحانه

وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لغرض بلاغي هو الإحسان للمؤمنين في أقوالهم وأفعالهم.

وقد يكون العدول على خلاف مقتضى الظاهر في عدوله سبحانه وتعالى من الاسم الظاهر للاسم المضمّر للدلالة على التربية للمهابة كما في قوله عز وجل: ﴿الْفُورْقَانِ الشَّجَرَةَ النَّبَاتِ الْقَصْبُ الْعَبْكُوتِ الْيُوفُ الْقَتْمَانِ السَّجْدَةِ الْأَجْنَابِ سَبْعًا قَطْرًا يَبِينُ الصَّافَاتِ حِينَ الْبَرْزِ عَظْلًا فَضَلَّتْ الشُّبُورُ الْخَزْفُ الدُّجَانُ الْجَنَائِيَةِ الْإِحْقَاقُ مُحْتَمِلًا﴾ (آل عمران: ١٥٥)، أعيد لفظ الجلالة في الآية الكريمة في قوله: "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ خَلِيمٌ" مع تقدم ذكره قبل ذلك بقليل في قوله: "وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ خَلِيمٌ" وكان يكفي أن يقول: وهو غفور رحيم، أو وهو الغفور الرحيم؛ وذلك لتربية المهابة، وتأكيد التعليل (القروي، ١٣٠٦هـ، ١٠٣/٢)، واشتملت هذه الآية الكريمة على أدب رفع مع الله سبحانه وتعالى، وذلك عندما لم تنسب المعاصي لله سبحانه وتعالى، وإنما نسبت إلى الشيطان؛ تأديباً مع الله سبحانه، وهذا أدب القرآن الكريم، كما في قول صاحب موسى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ﴾﴾ (الكهف: ٦٣)، إذ إن الله تعالى هو الغني عن الجمع، وهذا ما أكده علماء السنة في نفي وجود الشر المطلق في الله تعالى، فإن العفو قد تجلّى في الآية الكريمة، فقد نص الله على ذلك بقوله: ﴿الشُّبُورُ عَظْلًا فَضَلَّتْ الشُّبُورُ الْخَزْفُ﴾ وذلك كتجلي لعناية الله بعباده الصالحين (بن عاشور، ١٩٨٤م، ١٤١/٤).

كذلك وضع الظاهر موضع المضمّر في قوله تعالى: ﴿الْعَبْكُوتِ الْيُوفُ الْقَتْمَانِ السَّجْدَةِ الْأَجْنَابِ سَبْعًا قَطْرًا يَبِينُ الصَّافَاتِ حِينَ الْبَرْزِ عَظْلًا فَضَلَّتْ الشُّبُورُ الْخَزْفُ الدُّجَانُ الْجَنَائِيَةِ الْإِحْقَاقُ مُحْتَمِلًا الْبَنِيخُ الْمَجْرَاتِ فَنَ الدَّارَاتِ الْبُطُونِ الْبَنِيخِ الْقَبْكُوتِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْمَحْدِيَةِ الْحَيَاتِ الْبَشِيرِ الْمُتَبَحِّثَةِ الصَّنَدِ الْبَنِيخِ الْمَنَافِقُونَ النَّعَابِ الْظُلَاقِ الْبَشِيرِ الْمَلِكِ﴾ (آل عمران: ١٧٩)؛ لغرض بلاغي هو إفادة التربية للمهابة، إذ أطلق سبحانه وتعالى الاسم الظاهر الله في هذا السياق النصي في قوله تعالى: ﴿الدُّجَانُ الْجَنَائِيَةِ الْإِحْقَاقُ مُحْتَمِلًا﴾، وتكراره في الجملة الثانية في قوله تعالى: ﴿فَنَ الدَّارَاتِ الْبُطُونِ الْبَنِيخِ الْقَبْكُوتِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْمَحْدِيَةِ﴾ كما بينت سابقاً لغرض بلاغي التربية للمهابة، فالعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين، بل يرتب المبادئ حتى يخرج المنافقين من بينهم، وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق، ولكنه تعالى يوحى إلى رسوله عليه السلام، فيخبره بذلك بما ظهر منهم من الأقوال والأفعال حسبما حكى عنهم بعضه.

وقد يكون التعبير بالظاهر دلاً من المضمّر "لكمال العناية بالظاهر"، كما في قوله تعالى: ﴿الْبُؤْسُ يُؤْنِسُ هُوَ يُؤْمِنُ الرَّحْمَنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَجْرُ الْفَكَ الْإِسْرَاءُ الْكَهْفُ قَرْيَتِهِ طَبْعُ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجُّ الْمُؤْمِنُونَ الْبُؤُورُ الْفُورْقَانِ الشَّجَرَةَ النَّبَاتِ الْقَصْبُ الْعَبْكُوتِ﴾ (آل عمران: ١٩١)، إذ لم يتعرض النظم هنا لاختلاف الليل والنهار، ولم ينظم في سلك التفكير كما سلك في الآية السابقة؛ لعل السبب في ذلك؛ للإيدان بظهور اندراجها في خلق السماء والأرض وما يتبعها من أحوال.

المبحث الثاني: دلالات الالتفات في سورة آل عمران

المطلب الأول: الالتفات لغة واصطلاحاً

الالتفات في اللغة: ورد لفظ "لفت" في المعاجم العربية بمعاني متنوعة، فمنها "لفت الوجه عن الناس" وهو الابتعاد عنهم، وكذلك "التفت الثقات"، ويُشير لفظ "تلفت إلى الشيء" إلى الالتفات إليه وتحويل وجهه بعيداً عنه. يُستخدم أيضاً في تعبير "لفت فلاناً عن رأيه" للدلالة على تحول الرأي إلى اتجاه آخر، ويتضمن ذلك الالتفات والابتعاد عن الرأي الأول إلى رأي جديد. يتداول هذا اللفظ للتعبير عن التغيير أو الاهتمام باتجاه مختلف (مطلوب، ١٩٨٣م، ٤٧٣/٢).

الالتفات في الاصطلاح: وفي مفهوم علماء البلاغة، يُستخدم مصطلح "الالتفات" بناءً على تأثيره في التفاعل بين الأفكار، إذ يستمد من مفهوم التفت الإنسان عن يمينه وشماله. وهكذا، يمكن فهم الالتفات في سياق البلاغة كالانتقال بين صيغ مختلفة، على سبيل المثال، الانتقال من صيغة الخطاب إلى صيغة الحاضر أو الغائب، أو العكس من ذلك (ابن الأثير، دت، ١٦٧/٢).

ولقد أشار علماء النحو إلى تقسيم الفعل من حيث الزمان إلى ثلاثة أقسام الفعل من الماضوية والمضارعية والأمرية فالفعل الماضي، ما دل زمنه على وقع الحدث في الزمن الماضي بينما الفعل المضارع، ما يدل على أن الحدث واقع في زمن المستقبل والحالية فإذا وردت صيغة الأفعال على هذا التقسيم فهذا هو أصل التقسيم الزمني للفعل وهذا يقتضي أن الفعل ورد على مقتضى الظاهر، فإذا ورد الفعل خالف ذلك يكون قد ورد على خلاف مقتضى الظاهر فينزل المضارع منزلة الماضي، والماضي منزلة المضارع وهذا ما يطلق عليه علماء البلاغة أن الأفعال وردت على خلاف مقتضى الظاهر، وهذا الأمر لا يقع إلا في كلام الله ويكون لغاية ونكتة بلاغية وهذا ما يتطلبه السياق.

وذهب ضياء الدين بن الأثير، إلى أن مخالفة المقتضى- لظاهر صيغ الأفعال يعد من أساليب الالتفات حيث رأى أن الالتفات: هو العدول والالتفات والانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر كالانتقال بطرق الانتقال من الخطاب إلى الغيبة والعكس وغير ذلك من انتقالات وفقاً لما يستدعيه سياق الكلام والخروج على خلاف مقتضى- الظاهر مع الكشف عن النكات البلاغية والخصوصيات البلاغية لهذا العدول والأسلوب البياني وجعلها من أبواب الالتفات في الدرس البلاغي (سيوني فيود، ١٩٩٠م، ٢٩٧/١).

نعم، فالحلاف في كون هذا الأسلوب من الالتفات، أو من غيره لا طائل من ورائه؛ لذا ترى الباحثة كثيراً من الباحثين المحدثين يضرّبون عنه صفحاً، فيؤيّد بالمضارع مكان الماضي؛ لإحضار صورة الفعل أمام السامع، حتى كأنه يشاهده، وليس بمقدور الفعل الماضي تصوير الحدث، وإحضاره في ذهن المتلقي، لأن المستمع قد يتصور فعلاً قد مر عبر الزمن من حالة الماضي، وقد لا يستحضر أمانه وأشكاله.

المطلب الثاني: نشأة الالتفات وبلاغته

أسلوب الالتفات يعد ضرباً مميزاً من ضروب البلاغة يعد يتسم بأسلوبه الفريد وجاليتة الخاصة. يقوم بناء هذا الأسلوب، على حد تأكيد البلاغيين، على العدول من أسلوب في الكلام إلى آخر يتعارض معه، ويعد انحرافه عن النمط المألوف أساساً لقيمته البلاغية. يتميز الالتفات بأنه ظاهرة أسلوبية تقوم على انتقال معنوي، وليس مجرد تغيير لفظي، مما يترك أثراً عميقاً في النفس، ويظهر الالتفات بكثرة في القرآن الكريم نتيجة لتحفيزه للحركة الذهنية الناتجة عن التحول بين تراكيب مختلفة، ويعد ذلك كله عدولاً عن المقتضى- الظاهر، أي المألوف والمعتاد، الذي اكتسب ثقة وشهرة. إن تجاوز هذا المقتضى- يعد نوعاً من الالتفات الذي يُظهر بمختلف أساليبه، إذ خرج عن النمط المتعارف عليه في الكلام العام لأغراض بلاغية أو تسليط الضوء على جوانب معينة (مطلوب، ١٩٨٣م، ٤٧٣/٢).

وأسلوب "الالتفات" من الأساليب البلاغية المهمة والأكثر انتشاراً في الشعر العربي قديماً وحديثاً، كما موطنه النثر سواء في القرآن الكريم أم الأحاديث النبوية، وكلام العرب، وبلاغته تأتي من خلال ربط الصيغ بالسياق البلاغي، وقد فطن البلاغيون قديماً وحديثاً لهذا الأسلوب، وإن اختلفوا في المصطلح البلاغي، فقد أشار إليه "الفراء" (النحاس، ١٩٨٨م، ١٩٥/١)، وتناوله "أبو عبيدة" في كتابه "مجاز القرآن"، إذ أشار إليه بوصفه مجاز انتقل من مشاهدة المخاطب إلى مشاهدة الغائب كما في قول الله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعِ الْآيَاتِ الْكَافِرِينَ﴾

﴿يونس: ٢٢﴾. أي بكم (أبو عبيدة، ١٩٨١م، ١١/١)، ومن خلال تتبع التاريخ البلاغي لهذا المصطلح الأسلوبية نجد أن "الأصمعي" أول من استخدم هذا المصطلح وأطلقه عليه، قد ذكر "العسكري" عن "الصولي"، قال: قال "الأصمعي": "أتعرف التفاتات" جرير؟ قلت: لا، فما هي؟ قال: أَتَتَّسَى إِذْ تُودَعُنَا سُلَيْمَى بِعُودٍ بِشَامَةٍ شَقِي الْبَشَامُ (الصاوي، د.ت، ٥١٢)

ألا تراه مقبلاً على شعره، ثم التفت إلى البشام، فدعا له (العسكري ١٩٨٦م، ٣٩٢).

فـ"يطلق" الأصمعي "الالتفات على أسلوب الكلام الذي ينقله المتكلم إلى المتلقي فيشعر المخاطب أن متكلمه قد أنهى هذا التعبير الأسلوبية ثم يستخلص المتكلم هذا التعبير الأسلوبية وينقل إلى معنى ودلالة أخرى فيحدث الالتفات والانتقال إلى معنى جديد مغايراً لما تم ذكره فيما تقدم ذكره.

وجاء "ابن المعتز" فقسم الالتفات على نوعين: النوع الأول: الذي ينصرف الخبر فيه من المتكلم إلى المخاطب، وما يضارع ذلك - وهذا هو ما عرف بالالتفات في الاصطلاح البلاغي عند علماء البلاغة حيث ينتقل ويلتفت المتكلم من دلالة إلى دلالة جديدة لم تذكر في سابقها (ابن المعتز ١٤١٠هـ، ١٥٢-١٥٣)، وهذا يراد به تلوين العبارة، ويمكن أن يدخل فيه الاستطراد.

ويتضح مما سبق أن علماء البلاغة يعدون أسلوب الالتفات من فنون علم البديع وهم ليسوا في ذلك على صواب، لأنهم في تصريف ضروب الكلام فيه تجديد نشاط المتلقي للكلام وفيه تقليد بين الإنشاء والخبر مرة والخطاب والتكلم والغيبة مرة أخرى.

ثم بدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقاً، بعد أن استقرت علوم البلاغة، وقد عرّفه "الفخر الرازي" بقوله: إنه يتمثل في الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، أو العكس (الرازي، ١٩٨٩م، ٢٠٣)، وأورد "السكاكي" هذا النوع بعد أن استعرض حال المسند إليه في ميدان "علم المعاني". وفي تعليقه قال: "إن هذا النوع، أي نقل الكلام من الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه بشكل حصري، ولا بالشكل المطلوب، بل يشمل الحكاية والخطاب

والغبية، حيث يمتد هذا النقل بين كل واحدة من هذه الأنواع إلى الأخرى، وقد أطلق عليه هذا النقل اسم "التفات" من قبل علماء "علم المعاني" (السكاكي، ١٤٠٧هـ، ١٩٩)، وترجع الفائدة الأسلوبية والبلاغية لظاهرة الالتفات إلى أنه أحد طرق العرب في التفنن في الأسلوب؛ لجذب الانتباه، وإيقاظ النفس وتطريبها، وبعث النشاط فيها، وهذا هو ما يريد المتكلم (الزمخشري، دت، ١٤/١).

لكن "ابن الأثير"، لم يوافق على رأي الزمخشري فقام برده وبقده، وبين أن العلة في الالتفات ليس كما نقله "صاحب كتاب الكشف؛ لأن الأسلوب وانتقاله من دلالة إلى دلالة جديدة ومن صيغة على صيغة ليس لنظرية السماع وجذب الانتباه وهذا قدح في كلام المتكلم ويعمل ذلك لأن المخاطب يمل من الأسلوب الواحد فلا بد من انتقال والتفات من صيغة إلى أخرى.

ولو سلمنا لـ "الزمخشري" برأيه لكان موطن الالتفات في الكلام المطول والقصائد؛ ولكن الالتفات على التقيض من ذلك، إذ يرى أسلوب الالتفات في الحديث الموجز والعبارة القصيرة وخير شاهد على ذلك آيات من النصوص القرآنية.

وقد أشار "ضياء الدين بن الأثير" صاحب كتاب المثل السائر إلى أن مفهوم الانتقال والالتفات عند الزمخشري يستعمل لهدف المخالفة، لا ذهاباً للأفضل، وبناء عليه فلو رأينا كلاماً وحديثاً قد استعمل فيه جميعه الإيجاز أو الإطناب، ولم ينتقل عنها، وكان كلاهما واقعاً موقعه، قلنا: هذا ليس بحسن، إذ لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب، وهذا قول فيه ما فيه، ثم يستنكر على "الزمخشري" ذهابه إلى هذا التعليل على الرغم من فصاحته وبلاغته وبيانه، ثم يذكر "ابن الأثير" تعليقه المرتضى- لحسن الالتفات، فيقول: وفيما يخص هذا الأمر، أنا أرى أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو العكس، لا يكون إلا في حالة استفادة مبررة، وتلك الاستفادة تكون أمراً يفوق حدود الانتقال بين الأساليب. إذ لا يتم تحديد هذه الفائدة بحجّ محدد أو تقييد بضابط محدد، بل يُشار إلى الموقع الذي تكون فيه تلك الفائدة ليُنَاقَسَ عليها ويُقَارَنَ بها غيرها (ابن الأثير، دت، ١٨٢/٢).

وقد ذكر "ابن أبي الحديد" هذا الاعتراض، وقام بتفنيده، ويمكن إيجاز رده في النقاط التالية: أولاً: أن ملل السامع من الكلام الذي ألقاه المتكلم، لا يستوجب ذمه وردأته، بل على العكس والتقيض من هذا، فالملل في الأسلوب عند السامع لا نجده إلا من خلال الكلام المملد وخير شاهد على ذلك أن الإنسان يمل من الإكثار من أكل الحلوى ولا يمل من أكل الشيء غير الجيد، وثانياً: لما كان مراد وهدف المتكلم لأسلوب الالتفات والانتقال إفهام المخاطب، وهذا الشيء لا يكون إلا بالإصغاء ولهذا لجأ المتكلم إلى الاحتيال لتحقيق إصغاء المخاطب لكلامه بأي شكل من أشكال التحايل، فكان من تلك الطرق الالتفات بشتى طرقه؛ ليجد السامع ما يوقظه، ويحثه على الاستماع؛ ولفرط العناية بالإفهام نجده يقع في قصر الكلام وطويلة حسب ما تقتضيه المصلحة، ثالثاً: أن "الزمخشري" لم يكتف حسن الكلام بالتقييد بالالتفات فقط، بل أشار إلى أن الالتفات يعد أحد الوسائل التي يتحاكى بها العرب، وأوضح أن الغرض من استعماله هو توجيه نوع من التنبيه إلى المستمع، مما يجدد نشاطه ويجفزه للاستماع بانتباه إلى الخطاب. ومع ذلك، أكد أن عدم وجود الالتفات في كل خطاب لا يعني بالضرورة عدم جودة الخطاب. بمثابة توضيح للفكرة، استعمل موازنة بين حسن استعمال المطابقة والتجنيس في الشعر وبين وجود تجنيس أو مطابقة في كل قصيدة لا يعني بالضرورة جبالها (ابن أبي الحديد، ١٩٨٤م، ٢٠٩ وما بعدها)، وكلام "ابن الحديد" وجيه، ولا غبار عليه.

وإذا ما استثنينا "ابن الأثير"؛ فإننا نجد البلاغيين والمفسرين، متفقين على الأثر الفني، الذي تناوله الإمام الزمخشري لأسلوب الالتفات، ولكن يرجع الاختلاف عند علماء البيان في مصطلح الالتفات، فجمهور البلاغيين يقتصرون أسلوب الالتفات على الالتفات والانتقال التكلم والخطابية والغبية إلى كل منها، في حين أن السكاكي "ومن سار على نهجه يتوسعون فيه، فيجعلون الالتفات والانتقال من دلالة إلى دلالة آخر لم يأت حسب ما يقتضيه الظاهر، بل يخرج على خلاف مقتضى الظاهر.

ولا شك أن مذهب "السكاكي" ومن تبعه أكثر اتساعاً من مذهب الجمهور، وعلى هذا فكل التفات - عند الجمهور - هو التفات عند "السكاكي"، وليس كل التفات عند "السكاكي" التفاتاً عند علماء البلاغة.

وبلاغة الالتفات التي أشار إليها "الزمخشري" نجدها فائدة شمولية وعامة لكل أنواع الالتفات فضلاً عن أن كل التفات له دلالاته وخصوصيته البلاغية والتي تختلف على حسب السياق وما يستدعيه المقام.

وفيما يخص هذا الأمر، في هذا السياق، يتضح من وجهة نظري أن التحول بين الخطاب والغبية، أو العكس، يجب أن يكون استناداً إلى فائدة مبررة، حيث تتجاوز هذه الفائدة حدود التغيير في الأساليب. وما يميز هذه الفائدة هو عدم تحديدها بشكل دقيق أو قيود محددة، بل تتم الإشارة إلى الموقع الذي تظهر فيه هذه الفائدة، مما يتيح لنا تقييمها ومقارنتها بغيرها من الحالات (الهنّي، دت، ٧١/٢).

المطلب الثالث: دلالات الالتفات في سورة آل عمران

ومن صور الالتفات في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ﴾ فَمِنْ اللَّاتَاتِ الْظُّلُومِ الْبَحْرِ

الْبَحْرِ الْوَاقِعَةِ الْحَرِيدِ الْمُحَاذِلَةِ الْحُسْنِ الْمُبْتَحَنَةِ الصَّفَقِ الْجَمْعَةِ الْمَبَافِقَةِ النَّجَائِظِ الطَّلَاقِ الْبَحْرِ

الْمَلَأَ الْفَسَادَ الْخَفِيَّةَ الْمَجْلُوحَ نُوحَ الْخَيْرِ الْبَرَّكَ الْمُنْفَرِ الْوَيْسَامَةَ الْأَسَدَ ﴿٢٨﴾ (آل عمران: ٢٨)، وموضع الالتفات في السياق النصي للآية هو قوله تعالى: "إلا أن تتقوا منهم تقية" ويجرك الله نفسه "وهذا أسلوب خطاب وقد أتى بالخطاب بعد الغيبة في قوله تعالى: "لا تتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء"، وهذا أسلوب والتفات إلى الغائب كما ذكر الطاهر بن عاشور بقوله: "إلا أن تتقوا أي صيغة الخطاب بطريق الغيبة استثناء مفرغ من أعم الأحوال والعامل في النهي معتبرا فيه الخطاب أي لا تتخذوهم أولياء في حال من الأحوال إلا حال تقانكم" (الطاهر بن عاشور، ١٩٩٧م، ٣/ ٧٤)، كما تضمنت هذه الآية الكريمة نهيا من الخالق من موالة الكافرين، وهذا بدون سبب يغضب الله تعالى.

وقد ورد الالتفات في سورة آل عمران ويحمل دلالة " التعظيم " كما في قوله سبحانه: ﴿الْأَنْعَامِ الْإِبْرَاقِ الْأَنْثَمِ الْبَرِّقِ﴾

يُونُسَ هُوَ يُؤْتِيكَ الرِّجْدَ **الْحَجَرُ النَّارُ** الْإِسْرَاءُ الْكَهْفُ مُرْيَسِيهِ طَبَا الْأَنْبِيَاءُ الْحَجَّ الْمُؤْمِنُونَ الْبَقَرَةُ

الْمُرْقَاتِ الشَّجَرَةِ النَّهْلِ الْقَصْرِ الْجَمِيلِ الْيُفْرَا لِقُتْمَانَ ﴿٤٥﴾ (آل عمران: ٤٥)، حيث التفت الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة من طريق الغيبة إلى طريق التكلم في قوله: "نُؤْتِيهِ"، وفي "وَسَخَّرِي"، وجاءت هذه الالتفاتة من أجل التعظيم، المستفاد من نون العظمة.

وقوله تعالى في ذات الآية: ﴿هُوَ يُؤْتِيكَ الرِّزْقَ﴾ في الآية الكريمة أسلوب قصر- حاصل بالنفي والاستثناء وهو من باب قصر- الصفة على الموصوف فما كان الموت يحصل لأي نفس إلا بالمشيئة الإلهية لله تعالى، وبهذا جاء الإذن مجازًا، لكونه من لوازمه، أو على تقدير إلا ياذنه سبحانه وتعالى لملك الموت في قبض الروح، ويتضح من السياق النصي- أنه هذه الآية الكريمة مسوقة للتمثيل في تصوير الموت بالنسبة إلى النفس بصورة الفعل الانزياح الاختياري، والذي لا يمكن للفاعل إيقاعه والإقدام عليه، وجلبه للنفس بدون إذنه تعالى، أو بتنزيل إقدامه على مبادئ القتال بمنزلة الإقدام بالنسبة للموت على وجه من المبالغة في الوصول للمراد، فإن موت النفوس، إذ استحالت وقوعها عند قدومها على النفس، وفي مجيء النظم على هذا السياق تحريض على القتال، وفيه دلالة على بلاغة القرآن، حيث التفتن في أساليب الإقناع.

ومن يتقن في نظم سياق الآية الكريمة يدرك قدرة الخالق سبحانه وتعالى في إحكام الموت فهو الذي أحاط بكل شيء علماً، فكم من إنسان رغب في إنهاء حياته عن طريق الانتحار بشتى الوسائل، ولكن مسعاه لم يفلح، وذلك لأن الله لم يأذن له بالموت، فسيحانه الخالق العالم القدير.

وقد يكون الالتفات "التربية المهابة"، كما في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكِ الْخُشُوعَ الدُّجْنَانَ الْجَنَانِيَّةَ الْأَخْفَقَ الْمُحْمَدِيَّةَ﴾

الْفَيْحُ الْمَخْرُجَاتُ فِيهِ الدَّارَاتُ الْإِلَهِيَّةُ الْخَيْرُ الْقَبِيحَةُ الرَّحْمَنُ الْوَاقِعَةُ الْحَدِيدُ الْجَنَادَةُ الْجَسَدُ الْمُمْتَصَّةُ

الصفحة المصنفة المنبأ عنها النجاة من الظلال البئس المصير (آل عمران: ١٤٠) وقد وقع الالتفات في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

الْمَلَأْنِيهِ الْأَحْقَفَ مُحَمَّدٌ الْقَبِيحُ الْمَجْرَدُ وَفِي الدَّرَكَاتِ الطُّورُ الْبَحْرِيُّ الْقَبِيحُ الرَّحْمَنُ الْوَاقِعَةُ الْحَرِيدُ

نلاحظ استعمال حرف (قد) الداخلة على الفعل الماضي الذي أفاد التحقيق أي إن القرح قد تحقق لهم كما تحقق لكم أيضاً والتعبير عما أصاب المسلمين بصيغة المضارع يمسكهم لقربه من زمن الحال وعما أصاب المشركين بصيغة الماضي لبعده لأنه حصل يوم بدر فضلاً عن تقديم المفعول به (القوم) على الفاعل (قرح) لأن الاهتمام بالقوم وليس بالقرح وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كما انتقل والتفت رب العزة سبحانه وتعالى من طريق التكلم في قوله تعالى: " نَدَّأُولَهَا " إلى طريق الغيبة في قوله تعالى: " وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ " ولو جرى على الأصل لقال: ولنعلم الذين آمنوا؛ ولكنه التفت وانتقل إلى الغائب ، كما أسند صفة العلم إلى الله للدلالة على المهابة وحسن الترتيب ، وإدخال الخوف والروع في النفوس ، ولبيان أن كل فعل يسند إلى الخالق سبحانه وتعالى فهو صادر عن علم أزلي قديم فهو يعرف حقيقة الشيء منذ أن خلقها بل وقبل خلقها فالعلم سابق وأزلى .

وقد يكون سياق الالتفات مرتبطاً بدلالة التعظيم، كما يظهر في استخدام كلمة ﴿الظُّلُمَ﴾ إذ قام الخطاب الرباني بالانتقال من الغيبة في "إِنْ يَمْسَسْكُمْ" إلى التكلم، وذلك بهدف تعظيم الفعل. ولو كان الالتفات قد تم على الأصل لكان اللفظ مختلفاً قليلاً، مثل "يداولها (الجلي، ١٩٩٤م، ٢/٢١٧) و (الأندلسي، ١٩٩٢م، ٣/٣٥٤)؛ وعلى هذا الأصل وردت قراءة شاذة، واكتسب الالتفات بلاغة باستخدامه صيغة المضارع في قوله تعالى: "إِنْ يَمْسَسْكُمْ"؛ فهذه الصيغة المضارعية أفادت حالة القرب من زمان الحال؛ وذلك لأن الآيات نزلت بسببها، بينما عبر عما أصاب المشركين بصيغة الماضي في قوله: "فَقَدْ مَسَّ"؛ لبعده؛ لأنه حصل يوم بدر، وإنما جاء الحديث عنها للبرعة والعظة كما أشار إلى ذلك سياق الآية الكريمة.

(آل عمران: ٨١-٨٢)، حيث التفت الخطاب الرباني الكريم من سياق الغيبة في قوله: ﴿الْمُحَجَّرَ الْفَكَرَ الْأَشْرَارَ الْكَهْفَ الْفَرَجَ﴾ إلى سياق

الخطاب في قوله: ﴿طَلَبْنَا الْأَنْبِيَاءَ﴾ (آل عمران: ٨١)، فالآية الكرمة جاءت في مقامها متضمنة السياق الحالي لبيان الميثاق الذي أخذه الله على أنبيائه من أول نوح وما تلاه من أرسل وأنبياء و ما من نبي يبعث، ثم يسمع بمحمد إلا آمن به، وانضم تحت لوائه، وفي هذا تكريم وتشريف وتعظيم لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا جاء النظم القرآني يذكر بالأهم السابقة من الأنبياء وما أخذهم عليه من العهد والميثاق، فجازوا بسعادة الدارين، وكفى بها سعادة، ولهذا نرى النظم الرباني الكريم يؤكد هذا الأمر، فيذكرهم بهذا الميثاق بطريق الالتفات؛ لكي يسارعوا إلى الإقرار فقال: ﴿طَلَبْنَا الْأَنْبِيَاءَ﴾

﴿

وقد يكون الالتفات لدلالة زيادة في النكال، وتأكيداً للوعيد والإنذار، كما في قوله تعالى: ﴿الْمُحَقَّلَةَ الْمُحَلَّلَةَ نُوْحَ الْفَتْحَ الْمُزْمَلَةَ﴾

الْمُحَلَّلَةَ الْفَيْصَامَةَ الْأَسْطَلَةَ الْمُسْتَلَاتِ النَّبِيَّاتِ الْعَبَسَ الْتَكْوَنَ الْأَنْفَطَلَ الْمُطَفِّفِينَ الْأَشْقَلَ الْبُرُوجَ الْظَارِقَ الْأَعْلَى الْعَاشِيَةَ الْفَجْزَ الْبَلَدَ الْبُشَمْنَ اللَّيْلَ الْضَحَى الشَّرْحَ الْتَيْنَ الْعَلَى الْفَكَرَ الْبَيْتَةَ الْبَرْلَةَ الْعَاقِلَاتِ

الْفَكَرَةَ الْبَكَارَ (آل عمران: ١٨٠)، فيتضح من السياق القرآني لنظم هذه الآية الكرمة أنها التفت في سياق الغيبة إلى سياق الخطاب في قوله

﴿الْعَاقِلَاتِ الْفَكَرَةَ﴾ وذلك زيادة في النكال، وتأكيد للوعيد والإنذار؛ ولأن منصب النبي العظيم في غاية النزاهة، انتقل الأسلوب من الخطابية إلى الاتباع، وهذا على قراءة أغلب جمهور قراء القرآن الكريم كما أن هذه الآية الكرمة لا تعد من الالتفات على قراءة "ابن كثير وأبي عمرو" بياء الغيبة "يعملون" (الزمخشري، دت، ٤٤٦/١) و (الرازي، دت، ١١٦/٩) و (الألوسي، ١٩٨٥، م، ٤٠/٤).

وجاء الالتفات في قوله تعالى بصيغة الخطاب في قوله ﴿الْعَاقِلَاتِ الْفَكَرَةَ﴾ بعد أن سبق السياق النصي بصيغة الغائب في قوله

تعالى ﴿الْمُحَقَّلَةَ الْمُحَلَّلَةَ نُوْحَ﴾ وهذا لغاية بلاغية أن الخطاب أبلغ في الوعيد من صيغة الغيبة ولهذا التفت سبحانه من صيغة الغيبة إلى صورة الخطاب لتكون أقرع في الأذان وأنفذ في القلوب.

وقد حكى أبو بكر أحمد بن موسى التميمي البغدادي اختلاف العلماء في قراءة (يعملون) فقال: ((قرأ أبو عمرو وابن كثير والله بما يعملون خير بالياء، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمة والكسائي والله بما تعملون خير بالتاء)) (أبو بكر أحمد العباس، ١٤٠٠هـ، ٢٢٠).

وقد يكون الالتفات لـ "إظهار كمال الاعتناء بمن التفت إليه"، كما في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ﴾

الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (آل عمران: ١٩٥). إذ التفت النظم الكريم في قوله تعالى: "أَتَى لَا أَضِيعُ عَمَلٌ غَامِلٌ مِنْكُمْ" من الغيبة إلى المتكلم والخطاب؛ لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة، وتشريف الداعين بشرف الخطاب، والمراد تأكيدها - أي الاستجابة - ببيان سببها، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء، لا مجرد الدعاء، وتعميم الوعد لسائر العاملين، وإن لم يبلغوا سائر درجة أولو الألباب؛ لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة في الآيات التي قبل هذه الآية (العادي، دت، ١٣٤/٢) و (الألوسي، ١٩٨٥، م، ٤٠/٤).

ومن الالتفات قوله تعالى: ﴿النَّازِعَاتِ غَسَّاتِ الْتَكْوَنَ الْأَنْفَطَلَ الْمُطَفِّفِينَ الْأَشْقَلَ الْبُرُوجَ الْظَارِقَ الْأَعْلَى﴾

الْعَاشِيَةَ الْفَجْزَ الْبَلَدَ الْبُشَمْنَ اللَّيْلَ (آل عمران: ٩)، وعدل الله - سبحانه وتعالى - من سياق الخطاب إلى سياق ضمير الخطاب

النَّازِعَاتِ غَسَّاتِ الْتَكْوَنَ إلى الغيبة ﴿الْعَاشِيَةَ الْفَجْزَ الْبَلَدَ الْبُشَمْنَ اللَّيْلَ﴾؛ وكان مقتضى - المقام أن يقول سبحانه وتعالى "إنك لا تخلف المعاد" فعدل من الخطاب للغيبة في قوله تعالى "إن الله لا يخلف الميعاد" للدلالة على تشريف وتفخيم و تعظيم الموعود؛

والإجلال من ذكر يوم القيامة ، وهذا يتوافق مع السياق اللغوي ببيان حلة الاشعار بسبب وعلة الحكم. (الرازي، دت، ١٨٢/٧-١٨٣) و (الأندلسي، ١٩٩٢م، ٣٤/٣) و (الأوسى، ١٩٨٥م، ٩١/٣)

وهذا ما رجحه صاحب كتاب المحرر الوجيز بقوله: " يحتمل أن يكون إخباراً منه محمداً عليه السلام وأمته، ويحتمل أن يكون حكاية من قول الداعين، ففي ذلك إقرار بصفة ذات الله تعالى، و " الميعاد " مفعول من الوعد. (ابن عطية، ٢٠٠٠م، ٣٨٤/١)

ومن دلالات التعبير بالماضي عن المستقبل في سورة آل عمران تأمل كلمة ﴿مَرَّيْنَاهُ﴾ من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿الْكَهْفُ﴾

﴿مَرَّيْنَاهُ﴾ **طَلَبْنَا الْأَنْبِيَاءَ لِلْحَجِّ الْمَقْبُورِ الْتَوَارِ** ﴿آل عمران: ٥٨﴾، حيث عبر بصيغة الاستقبال ﴿مَرَّيْنَاهُ﴾ ولم يقل: تلواناه، مع أن الملاحظ من السياق النصي- للآية أن الفعل تم في الزمن الماضي، وذلك فالقرآن يريد أن يستحضر- الصورة في ذهن المسامع مع التجديد والاستمرارية ؛ حتى كأن المتلقي يشاهد هذه الصورة ؛ اعتناء بها . وإضافة التلاوة إلى الله سبحانه وتعالى مع أن التالي هو سيدنا جبريل للتكريم والتفخيم والتشريف له، حيث انتقل بهذه الصورة من صورة التلاوة للأمر إلى صورة التلاوة للمأمور .

ومن ذلك كلمة ﴿فُضِّلْنَا﴾ في قوله: ﴿الشَّجَرَةَ النَّبْلَ الْقَصْرَ الْعَجَبُوتِ الْبُورِ الْقُتَمَانِ﴾

السَّجْدَةِ **الْأَجْرَابِ** **نَبْتًا** **قَطَلِ** **يَبْنَ الصَّافَاتِ** **حَنِ الرُّبْرِ عَظَلِ** **فُضِّلْنَا** ﴿آل عمران: ٥٩﴾، ولا بد من الإشارة إلى المعنى السياقي؛ لهذه الآية لأنه خلّفه من ثراب ثم قال له كُنْ فَيَكُونُ وهذا دلالة لا تكون إلا بعد تكوين الخلق ؟ وهي تدل على بدء الخلق، ثم الإخبار بهذا الخلق، ثم الأمر له كن فكان من غير مراعاة الترتيب في الخلق قيل معناه، ثم خلقه، ثم أخبركم أنني قلت له: كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة وخير شاهد على هذا خلق آدم عليه السلام، ثم خلق عيسى عليه السلام (البغوي، ١٩٩٩م، ٤٧/٢).

والسياق النصي- لهذه الآية يوضح لنا العدول بصيغة المضارع المقترن بالفاء دون الماضي إذ قال: "فَيَكُونُ" دون "فكان"، وإن كان هو المتبادر إلى الذهن في أول الأمر، وذلك لاستحضار الصورة في حالة التكوين وهذا يشير إلى أن الأمر جاء من غير تخلف في الاستجابة لهذا الأمر، وهذه الدلالة هي التي عبر عنها بصيغة المضارع، وذلك كقوله تعالى: ﴿الْبُورِ الْقُتَمَانِ السَّجْدَةِ الْأَجْرَابِ نَبْتًا قَطَلِ﴾ (فاطر: ٩٠)، وحمله على غير هذا المعنى لا وجه له (البقاعي، ١٩٩٢م، ٤٢٧/٤) و (القزويني، ١٣٠٦هـ، ٤٥/٢) و (ابن قيم الجوزية، ١٩٧٥م، ١٨٧/٣) و (رضا، دت، ٢٦٣/١).

وتأمل كذلك كلمة ﴿فُضِّلْنَا﴾ من قوله تعالى: ﴿فُضِّلْنَا﴾

الْعَجَبُوتِ النَّبْتِ **لِلنَّابَةِ** **الْأَعْطَلِ** **الْأَعْرَافِ** **الْأَنْفَالِ** **الْبُورِ** **يُونَيْتِ** **هُوَ يُؤْمِنُ الرَّبَّ** **إِبْرَاهِيمَ** **الْحَجَرَ** **الْجَلَّ** **الْإِنْرَاءِ** **الْكَهْفِ** **مَرَّيْنَاهُ** **طَلَبْنَا الْأَنْبِيَاءَ لِلْحَجِّ الْمَقْبُورِ الْتَوَارِ** **الْفُرْقَانِ** **الشَّجَرَةَ** **النَّبْلَ** **الْقَصْرَ** **الْعَجَبُوتِ** ﴿آل عمران: ١٥٢﴾.

حيث أفادت ﴿فُضِّلْنَا﴾ دلالة سياقية للمضي، وأتى بعدها بسياق المضارع ﴿فُضِّلْنَا﴾ وذلك لإفادة التجدد في الماضي ، وبيان الصورة واستحضارها في النفس .

وأفادت أداة الشرط والظرفية دلالة سياقية ﴿فُضِّلْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فُضِّلْنَا﴾ اسم للزمان، وهو مستعمل في الزمن المستقبلي، وقد يخرج على خلاف مقتضى الظاهر للتعبير عن مطلق الزمن كما في هذه الآية الكريمة، ولعل نكتته في ذلك أنه أريد استحضار الصورة العجيبة؛ تبعاً لقوله: ﴿فُضِّلْنَا﴾ (ابن عاشور، ١٩٨٤)، وهذا يدل على ضرورة ربط السياق القرآني بالسياق اللغوي من أجل معرفة العدول في الصيغ، والمراد

بالعصيان في هذه الآية الكريمة مخالفة أوامر الرسول (ﷺ) ولهذا جاء الترتيب في هذه الآية على النحو الآتي ﴿فُضِّلْنَا﴾ ﴿فُضِّلْنَا﴾ ويتضح أن هذا الترتيب جاء ووقع على حسب مراعاة حصول الفعل ومراعاة للرتبة في الحصول ؛ وهذا ما بينه السياق الحالي لهذه الآية الكريمة من خلال مراعاة الأحداث فالفسل نابع من ضيق الرماة من استمرارهم في مكابهم والطمع في المكاسب المادية من العدة والعتاد ، فالفسل والطمع والتنازع مع التصميم على المفارقة في الموقف الذي أمرهم به النبي من خلال الالتزام بمكانهم ولهذا جاءت الأحداث مرتبة وفقاً للزمن في ترتيب الخبر ، وهذا غاية البلاغة وما يقتضيه السياق من العدول في الصيغ الخاصة بالأفعال (الرازي، دت، ٣٧/٩).

والعدول عن ذكر الغيبة باسمها الصريح، والتعبير عنها بالاسم الموصول ﴿سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَّةُ الرَّغْبَانِ السَّبَّاءُ الْمُنَادِي﴾^(١) يُشير ذلك إلى تنبيه حول العجلة في طلب المال المحبوب. يتم استعراض هذا السياق كمقدمة لبيان العذر في مفارقة المكان والمخالفة الناتجة عنها، نتيجةً لسرعة الاندفاع للمال المرغوب، وتظهر الصياغة اللفظية كوسيلة للتعبير عن سلسلة الأحداث، بدءاً من الفشل والتنازع والعصيان، وصولاً إلى طلب الشهادة. ويظهر قوله تعالى: ﴿سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَّةُ الرَّغْبَانِ السَّبَّاءُ الْمُنَادِي﴾^(٢) كإشارة إلى الإبراز لعظم هذه المعصية والمخالفة، وللتنبية إلى فظاعتها. وعندما اقترفوا هذه المخالفة، عاشوا تجربة الذل والهوان من قبل الله، لكن عندما استجابوا لنداء الحق، نالوا الشهادة وحققوا الكرامة والنصر (الرازي، دت، ٣٨٧/٩-٣٨٨)، وأثبت الجار في قوله: ﴿سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَّةُ﴾^(٣) تصويراً للمخالفة، بأنها كانت عقب رؤية النصر- سواء، وبشيراً بزوالها، وقوله: ﴿الْأَنْعَامُ الْأَغْرَابُ الْأَنْفُسُ الْيَتِيمُونَ الْيَتِيمُونَ هُمَا يُوَسِّفُونَ الْبَرَّكَ﴾^(٤) تفصيل لما أجمل في ﴿﴾^(٥)

وتبيين لـ ﴿﴾^(٦) وتحديد له بأن العصاة بعض المخاطبين المتنازعين؛ إذ الذين أرادوا الآخرة ليسوا بعاصين؛ ولذلك أخرت هذه الجملة إلى بعد الفعلين، وكان مقتضى الظاهر أن يعقب بها قوله: ﴿﴾^(٧) ﴿﴾^(٨) وفي هذا الموضع للجملة ما أغنى عن ذكر ثلاث جمل، وهذا من أبداع وجوه الإعجاز.

المبحث الثالث دلالات الإنشاء الطلبي

وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، كالأمر ، والنهي ، والنداء ، والتمني ، والاستفهام ، ووجه انحصاره في هذه الأنواع ؛ لأنه إما أن يقتضي كون مطلوبه ممكناً أو لا ، الثاني التمني ، والأول إن كان المطلوب به حصول أمر في ذهن الطالب ، فهو الاستفهام ، وإن كان المطلوب به حصول أمر في الخارج ، فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل النهي ، وإن كان ثبوته فإن كان بإحدى حروف النداء فهو النداء ، وإلا فهو الأمر (التفتازي ، ١٣٣٠ هـ ، ٢٢٥) ، وهذا النوع هو ما عُيِيه البلاغيون ، وحفلوا به وذلك لما انطوى عليه من أثر في الكلام ، وما يضيفه عليه كل نوع من أنواعه من فوائد ونكات ، على ما سيستبين من خلال نظم بعض آيات هذه السورة الكريمة .

النوع الأول: دلالات الأمر:

ويعلم دارس البلاغة العربية أن الأغراض السياقية التي يخرج إليها أسلوب الأمر متعددة، وهي تفهم من السياق ويكتفي الباحث بدراسة بعضها لأن غايتها أن يُبين علاقة السياق بالأساليب وعدوله عنها وأثره في تحديد المعنى، ففي أسلوب الأمر لا بد من مراعاة وتأمل السياق لأنه هو الذي تستقي منه الصيغة دلالتها، وقد ذكر البلاغيون أن الأمر يعدل إلى معان كثيرة غير معنى طلب حصول الفعل، وتفهم هذه المعاني من سياق الكلام وقرائن أحوال المصاحب، وحال المخاطب، وما يقتضيه السياق.

والأصل: في الأمر أن يكون لطلب الفعل على سبيل الإلزام، فيكون للممثل الثواب وللتارك العقاب، وهذا مقتضى القواعد الأصولية التي ترى بأن الأمر للوجوب إلا أن يأتي ما يصرفه عن ذلك، ومن الأغراض البلاغية والمجازية البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الأمر وفقاً لطبيعة السياق التهكم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَظُمَ فَضْلُكَ عَلَى الْكَافِرِينَ إِذْ أَخْرَجْتَهُمُ مِنَ دِينِهِمْ فَطَرَأَتْ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٢١).

يقول الزمخشري: "فهو من العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتأله كما يقول الرجل لعدوه أبشر- بقتل ذريتك ومنه مالک (الزمخشري، ١/ ٤٢٠)

ومما جاء وفقاً لهذا الأصل قوله تعالى: ﴿مَنْ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ﴾ ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿﴾ (آل عمران: ١٢)، فقد يعدل أسلوب الأمر عن معناه الوضعي إلى معانٍ أخر تثير في ذهن المتلقي إحياءات شتى منها التهديد والوعيد فالله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة يأمر نبيه (ﷺ) أن يقول للكافرين على سبيل النذارة والتهديد بأنهم سيغلبون ، ويقتلون ، ثم أمرهم صائر إلى الله تعالى حيث سيصلهم جهنم ، وحيى في هذا التهديد بأظناب عبارة وأبلغها ؛ لأن المقام مقام إطناب لمزيد الموعظة والتذكير ، ومن ينظر في نظم هذه الآية الكريمة، يلحظ أنها اشتملت على خريز: الأول: الإخبار بغلبة الكفار في الدنيا ، والثاني: بحشرهم إلى النار في الآخرة.

وقد قدم الخبر الأول على الثاني في الذكر لتقدم وقته؛ لأنه في الدنيا بينما الثاني في الآخرة، وقد وقع الإخبار الأول وهذا من معجزات النبي؛ لأنه إخبار علم الغيب (الباقلاني، د.ت، ٣٤)

وقوله تعالى: ﴿الْشَّجَرَةَ الْمَلَكُ الْقَصَصُ الْعَجَبُونَ الْبُزْزُ الْفَتَنُ الْإِسْرَاءُ نَسَبًا قَطْرًا يَسْرُ الضَّافَاتِ حَرْفُ الْبَرْزِ بَعْظُ﴾ (آل عمران: ١٠٥) ، وجاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿يُونُسَ هُوَ يُؤْتِيهِ الرِّيحُ إِبْرَاهِيمَ

لِلْحَجَرِ الْخَلْقَ الْإِسْرَاءَ الْكَهْفَ فَرْيَسَ ظَنَبِ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجَّ الْمُؤْمِنُونَ الْبُزْزُ﴾ (آل عمران: ١٠٤) ، ومن الملاحظ أنه لما أمر بذلك في الآية الأولى أكده بالنبي عما يضاده من نزلت هذه الآيات فيهم من أهل الكتاب مبعثاً لهم بضالهم واختلافهم في دينهم على أنبيائهم ، فترى الحق عز وجل ينهى أتباع هذا النبي الخاتم محمد ، وهم أكرم الخلق عليه أن يكونوا مثل من قد خلوا قبلهم من اليهود والنصارى من اختلافهم على أنبيائهم من تكذيب مثل من قد خلوا قبلهم من اليهود والنصارى من اختلافهم على أنبيائهم من تكذيبهم وقتلهم بهم الأفاعيل الشنعاء ، فيصيبهم ما أصابهم من التفرق والاختلاف في الدين ، مما يجعلهم نهياً لغيركم من الأمم سلباً وقتلاً وتشريداً ، وفي الآخرة يصلهم العذاب العظيم ، ولا شك أن من ينظر في حال الأمة ، يلحظ أنها عندما ارتكبت النبي وقعت فيها حذرنا الله سبحانه وتعالى ، فحصل التفرق والاختلاف وتسلبت الأمم الكافرة وتداعيا عليها ، وأصبحت الأمة تعيش المرحلة الغنائية ، لا وزن لها بين الأمم على الرغم من كثرتها ، فإلى الله المشتكى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

النوع الثالث: دلالات الاستفهام

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية لتقرير المعاني ولزيادة الإيضاح ومعلوم أنه طلب بشيء لم يكن معلوماً من قبل بإحدى أدوات الاستفهام ويحتاج إلى جواب ، وهذا المعنى لا يلفت أنظار البلاغيين وقد يعدل عنه إلى معانٍ آخر تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال ، ومن هذه المعاني التي يخرج أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم النفي والتعظيم والتهديد وغير ذلك من هذه المعاني السياقية.

والاستفهام: نوع من أنواع الإنشاء الطلبي ، ومعناه طلب العلم بالشيء لم يكون معلوماً ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: إنه طلب خبر ، وهو بمعنى الاستفهام ، أي: طلب الفهم (الزركشي ، ١٣٩١ هـ ، ٢ / ٣٢٦) .

وقد حفلت سورة آل عمران بالكثير من صيغ الاستفهام ، ومنها قوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقَلْبُ الْخَفَاءُ الْمَجْلَالُ نَوْجُ الْخَيْ الْمَرْمُ الْمَكْرُ الْفَيْمَانُ الْأَسْتَلُ الْمَرْسَلَاتُ النَّبَا الْمَارَاتِ عَسَى الْتَكْوِينُ الْإِنْفُطَارُ الْمُطْفِئِينَ الْأَشْفَقُ الْبُزْزُ الطَّارِقُ الْأَيْلُ الْعَاشِيَةُ الْفَجْرُ الْبُشَلُ الْبُهْمُ اللَّيْلُ الضُّحَى الشَّرْحُ التَّيْنُ الْعَلَقُ الْفَتْرُ الْبَيْتَةُ الْبَرْزَةُ الْعَمَادَاتُ الْفَتْرَةُ الْبَكَارُ الْعَصْرُ الْهَجْرَةُ الْفَتِيلُ﴾ (آل عمران: ٣٧) .

فلنلاحظ معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿الْعَاشِيَةُ الْفَجْرُ الْبُشَلُ الْبُهْمُ﴾ من نعمة المنطوق الاستفهامي لسياق الاستفهامي لسياق أي ، وما يسبقها وما يلحقها من كلام ، وهناك المقام " الموقف الكلامي الذي يعين على تحديد المعاني المختلفة من سياقاتها ، وهذه المعاني تعني بها البلاغة أكثر من غيرها ، والكشف عنها من أدق أسرار بلاغتها في النفوس وليس في هذا إلا التأمل والبحث في ضوء السياق .

فالاستفهام من نبي الله زكريا - عليه السلام - لمريم عليها السلام عن الرزق الذي رزقت به ، ولذلك قالت: ﴿الشَّرْحُ التَّيْنُ الْعَلَقُ الْفَتْرُ﴾ ، وسبب استفهام نبي الله زكريا عليه السلام عن الرزق لكونه في غير وقته ووقت أمثاله ، قيل : كان عبداً في وقت الشتاء ، والاستفهام هنا للتعجب والدهشة والغرابة .

و " أَيْ " يستفهم بها عن المكان ، أي: من أين لك هذا ؛ ولذا كان جوابها: " مِنْ عِنْدِ اللَّهِ " (الطاهر بن عاشور ، ١٩٩٧م ، ٣ / ٢٣٧) ، والاستفهام قد يراد منه معانٍ أخرى تفهم من مستتبعات التراكيب ، فالاستفهام في قوله تعالى : " أَيْ يَكُونُ لِي غَلَامٌ " يراد به التعجب ، فقد قصد منه تعرف إيمان الولد ، لأنه عليه السلام لما سأل الله تعالى الولد ، فقد تهيأ لحصول ذلك ، فلا يكون قوله : " أَيْ يَكُونُ لِي غَلَامٌ " إلا طلباً لمعرفة كيفية ذلك على وجه يحقق له البشارة ، وليس من الشك في صدق الوعد ، وذلك لأن أنبياء الله عليهم السلام منزّهون عن مثل هذا ، وهو كقول إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ اللَّهَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (آل عمران: ٢٦٠) ، فأجيب بأن الممكنات داخله تحت قدرة الله تعالى ، وإن عز وقوعها في العادة .

فمن ذلك التقرير وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ، كما في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿الْبُزْزُ يُونُسَ

هُوَ يُؤْتِيهِ الرِّيحُ إِبْرَاهِيمَ لِلْحَجَرِ الْخَلْقَ الْإِسْرَاءَ الْكَهْفَ فَرْيَسَ ظَنَبِ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجَّ الْمُؤْمِنُونَ الْبُزْزُ

الْفُرْقَانِ الشَّجَرَةِ الْبَنَاتِ الْقَصْرِ الْعَبَّكَوْنِ الْبُورِ لَقَمَانِ الْبَحْثَةِ الْأَجْنَائِ سَكْبًا قَطْرًا يَبْنِ الصَّافَاتِ حَرْنِ

﴿ (آل عمران: ٢٠) ، فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ النَّبِيُّ﴾ ، أي: أأسلمتم، يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام، وتقضي- حصوله لا محالة، فهل أأسلمتم أم أتم بعد على كفركم؟ فهو استفهام في معرض التقرير، والمقصود منه الأمر، وفي مجيء الأمر على صورة الاستفهام فائدة زائدة، وهي التعبير بكون المخاطب معانداً بعيداً عن الإنصاف؛ لأن المنصف إذا ظهرت له الحجة، لم يتوقف، بل في الحال يقبل ونظيره قولك لمن لخصت له المسألة غاية التلخيص، وقمت بإيضاحها غاية الإيضاح: هل فهمتها؟ فإن فيه إشارة إلى كون المخاطب بليداً قليل الفهم، وكذلك في التعبير بالفعل الماضي: "أأسلمتم" دون المضارع؛ للدلالة على أنه يرجو تحقق إسلامهم، حتى يكون كالحاصل في الماضي "(انظر: الزمخشري، ١/ ٣٤٧).

ومثله الاستفهام في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾ (آل عمران: ١٢٤)، والاستفهام التقريري يكثر أن يورد على النفي، وإنما جيء في النفي بحرف "ن" الذي يفيد تأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا يوم بدر لقلتهم وضعفهم مع كثرة عدوهم، كالأيسين من كفاية هذا العدد من الملائكة، فأوقع الاستفهام التقريري على ذلك ليكون تلقيناً لمن يخالج نفسه اليأس من كفاية ذلك العدد من الملائكة بأن يصرح بها نفسه، والمقصود من ذلك لازمه، وهذا إثبات أن ذلك العدد كاف، وإلى هذا ذهب ابن عطية. (ابن عطية، د، ت، ٣/ ٢١٥).

ويرى أبو حيان أن الاستفهام هنا للإنكار، حيث يقول: "ودخلت أداة الاستفهام على حرف النفي على سبيل الإنكار، لانتفاء الكفاية بهذا العدد من الملائكة" (أبو حيان، ١٩٩٢ م، ٣/ ٣٣٢)، والراجح أنها للإنكار، كما ذهب إلى ذلك البقاعي. يقول: "إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ" أي الذين شاورتهم في أمر أحد، وفي غارهم المنافقون، لما زلزلوا رجوع أكثر المنافقين، حتى كاد بعض الثابتين أن يرجع ضعفاً وجبناً، مع ما كان النبي أخبرهم به من تلك الرؤيا التي أولها بذبح يكون في أصحابه، ليكون إقدامهم على بصيرة، أو يصدمهم ذلك عن الخروج إلى العدو كما كان ميل النبي في أكثر أصحابه وإعلامهم إلى المكث في المدينة قال منكر آتياً بأداة التأكيد للنفي "أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّمَ".

وأجيب بقوله: ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٢٥)؛ لأنه مما لا تسع الممارسة فيه (الظاهر بن عاشور، ١٩٩٧ م، ٤/ ٧٣)، وقد يكون للاستفهام دلالات وأغراض أخرى نحو سياقها للتشويق، وللإنكار والتعجب، والتهديد، وللإنكار والتوبيخ، والتبكيك والإنكار.

النوع الرابع: دلالات النداء:

من أقسام الإنشاء الطلبي النداء، وهو: طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة. (بهاء الدين السبكي، ١٩٧٣، ٢/ ٣٣٣)، وقد وقف البلاغيون مع أسلوب النداء في مؤلفاتهم، وأولوه عناية كبيرة لما ينطوي عليه هذا الأسلوب من نكات ولطائف، تجلي الإعجاز القرآني في أبهى صورته.

ومن خلال استقراء آيات هذه السورة الكريمة وجدت أن أكثر النداء في آياتها جاء بحرف النداء "يا"، والنداء يؤدي به في النظم القرآني الكريم لجلب انتباه المستمعين والمخاطبين وتحصيل إصغائهم؛ ولهذا غالباً ما يليه الحكم سواء كان أمراً، أو نهياً، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

وقد يعقب النداء استفهام كما في قوله تعالى: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِجْرَاهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٠٢). قال تعالى: ﴿يَسْمِعُ﴾ (آل عمران: ٧١).

وقد يكون النداء لإدخال الأُنس على المنادى كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران: ٤٣).

فنلاحظ في هذا النظم الرباني الكريم، أن الملائكة عليهم السلام، قاموا بخطاب مريم عليها السلام باسمها الصريح فقالوا: (يَا مَرْيَمُ)، وذلك تأنيساً لها عليها السلام، وتوطئة لما تلقى عليها من البشارة بالاصطفاء على نساء العالمين كافة، وبتطهيرها لها.

وقامت ملائكة الرحمن عليهم السلام بإعادة النداء مرة أخرى في قوله: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)؛ لتقص الإعجاب بحالها؛ لأن النداء الأول قد كفى في تحصيل المقصود من إقبالها بسامع كلام الملائكة، فكان النداء الثاني مستعملاً في مجرد التنبيه، الذي ينتقل منه لازمه، وهو التنويه بهذه الحال، والإعجاب بها ونظيره قول امرئ القيس:

يعد القصر - واحداً من الطرق الرابطة بين المسند والمسد إليه لتحقيق غرض بلاغي قد لا يتيسر - دون هذا الربط والقصر - فن يمتاز بالإيجاز والتوكيد، وهو من الفنون المحكمة الدقيقة، التي تجعل الأسلوب مصوراً قوياً يوحي إلى القارئ بمعان شتى.

جاء في "مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس: القاف والصاد والراء، أصلان صحيحان، أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر على الحبس، والأصلان متقاربان، فالأول القصر - خلافاً للطول. تقول: هو قصير بين القصر - والقصر: قصر - الصلاة. وهو ألا يتم لأجل السفر، قال تعالى: ﴿الْأَشْهُقُ الرُّوحَ الظَّارِقَ الِاعْتَى الْعَاشِيَةَ فَجَعَلَ الْبُتْلُكَ الْبُشَيْرَ اللَّيْلَ الضُّحَى الشَّرَحَ التَّيْنُ الْعَاقِبَ الْفَتْرَةَ الْبَيِّنَةَ الرَّابِعَةَ الْعَادِيَةَ الْفَلَاةَ الْبَكَاءَ الْغَضْرَ﴾ (النساء: ١٠١)، والأصل الآخر: وقد قلنا إنما متقاربان. القصر - الحبس. يقال: قصرته إذا حبسته، وهو مقصور، أي: محبوس قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ﴾ (الرحمن: ٧٢) (ابن فارس، ٩٨/٢) وعلى ذلك: فالأصل الثاني وهو ما ذهب إليه البلاغيون لتحقيق معناه في القصر: إذا إن تخصيص شيء بشيء معناه: حبس شيء على شيء، أي: حبس صفة على موصوف، أو موصوف على صفة.

أما القصر في الاصطلاح؛ فقد تلاقت نظرة البلاغيين على أنه تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص (السبكي، د.ت، ١٦٧/٢)

وقد حصر- " السكاكي " القصر- في طرقه التالية: " النفي والاستثناء، وإثبات، وتقديم ما حقه التأخير، والعطف بكل من لا، ويل، ولكن " (السكاكي، ١٩٨٧ م، ١٢٤)

وطرق القصر- كثيرة كما صرح بذلك البلاغيون؛ ولكنهم يركزون على الربع المشهورة الاستعمال وهي: النفي والاستثناء، وإثبات، والعطف بلا، ويل، ولكن ، وتقديم ما حقه التأخير .

وقد كان تناول البلاغيين لمبحث القصر— تناولاً يقترب من روح التقنين والتعقيد النظري أكثر مما يقترب من روح التذوق والتحليل الفني؛ إذ اعتمد تناولهم على تقسيمات وتفرعات قد تكون منعدمة الجدوى، لا تتصل بروح النص ولا تبحث في أسرارها ولهذا ما دفعني لتطبيق هذا المبحث على القرآن الكريم ولا سيما سورة آل عمران.

فالقرآن الكريم غني بأساليب القصر، فقد وردت فيه جميع طرقه: " النفي والاستثناء، وإثبات، التقديم، والعطف، وتعريف ركني الجملة، والتعريف بضمير الفصل "، ولكل طريق من هذه الطرق دلالة تختلف عن دلالة الطريق الأخرى؛ ولذلك نجد القرآن الكريم يؤثر أسلوباً منها في موضع على بقية الأساليب الأخرى لأن هذا الموضع يقتضي هذا الأسلوب دون سواه، وهذا ما تراه الباحثة في أساليب القصر- في سورة " آل عمران " التي ستعرض لبعض أساليب القصر في آياتها مرتبة حسب طرقها.

أولاً: طريق النفي والاستثناء

النفي والاستثناء طريقة من طرق القصر- التي استعملها العرب كثيرا إشارة إلى القدرة في تأدية المعنى المقصود بأقصر- طريق، وهو نتيجة أسلوبين: أسلوب السلب وأسلوب الإيجاب.

وهو من طرق القصر التي جاءت عليها آيات هذه السورة، وهذا الطريق من أبلغ طرق القصر وأقواها؛ ولذا درج القرآن الكريم على إيراده في موقف الرد على المكذبين والطاعين ومكري ألوهية الله سبحانه وتعالى ورسالة سيدنا محمد (وهذا الطريق يقتضي- أن تشتمل الجملة على أداتين إحداها للنفي والأخرى للاستثناء، وهذا هو قول جمهور البلاغيين دون من خالفهم كالسبكي رحمه الله الذي يرى وقوعه أيضاً في الكلام الموجب، ومثل له بقوله: " قام الناس إلا زيد " (السبكي، ١٩١/٢)

ومن الآيات التي جاءت على هذا الأسلوب في هذه السورة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال تعالى:

﴿ آل عمران: ٢ ﴾، وإذا أمعن النظر إلى الجملة المستأنفة وهي قوله تعالى : هو الحي القيوم " لأدركنا أن سياق أسلوب القصر- أفاد أن الله - سبحانه وتعالى - هو المستحق بالعبودية لا غير، ومن ثم ينبغي مراعاة السياق اللغوي لقوله تعالى : " الحي القيوم " لأن الإعراب يوضح لنا مدى علاقته بالسياق النصي- فنقول إنه خبر بعد خبر له أو خبر مبتدأ محذوف أي هو الحي القيوم لا غير ، وقيل : هو صفة للمبتدأ أو بدل منه أو من الخبر الأول أو هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيد الاسم الكريم ، أو حال منه على رأي من يرى صحة ذلك أيًا ما كان فهو كالدليل/ على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه .

فسياق الآية الكريمة ومقامها أفادت قصر - الإلهوية على الله سبحانه وتعالى، فالإلهوية صفة، وهي مقصور (هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) موصوف ومقصور عليه، وهذا القصر - حقيقى تحقيقى، فالإلهوية الحققة لله سبحانه وتعالى، لا يمارى فى ذلك أحد، حتى إن كفار مكة على كفرهم وشركهم كانوا

يقرون بالوهية الله وحده ، وإنما كان التفاتهم إلى أصنامهم ؛ لكي تقربهم إلى الله زلفى يقول تعالى: ﴿الْأَنْعَامُ الْبَاقِيَاتُ يُؤْنِسُكُمْ﴾ (الزمر: ٣) .

وبما جاء على هذا الطريق أيضاً، قوله تعالى: ﴿سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ﴾ (آل عمران: ٦) ، إذ اشتملت هذه الآية الكريمة على وجازتها على أسلوبين ، أو طريقتين من طرق القصر:

أولها: في قوله تعالى: ﴿الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ﴾ حيث جاء سياق في هذه الآية الكريمة بالقصر بطريق النفي والاستثناء؛ حيث قصرت الإلهوية في هذا الأسلوب على الحق سبحانه وتعالى، وهو قصر حقيقي تحقيقي.

ولما كان المقام مقام إثبات الإلهوية لله وحده تكرر قوله تعالى: ﴿الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ﴾ للدلالة على نفي الإلهية عن غيره تعالى ، وانحصارها فيه سبحانه وتعالى وهذا رداً على من ادعى إلهية عيسى - عليه السلام ، وناسب مجيئاً بعد الوصفين السابقين من العلم والقدرة ، إذ من هذان الوصفان له هو المتصف بالإلهية لا غيره.

ولتقريع المخالفين من النصارى وغيرهم من المعاندين ، نلاحظ أن العليم الحكيم سبحانه وتعالى؛ صرف الخطاب إليه من الغيبة إلى الخطاب في قوله: "هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ"؛ وذلك ليعظم تنبيههم على ما هم فيه من قهر المصور لهم على ما أوجدهم عليه ما يشتهونه ولا يفقهونه، فقال: "يُصَوِّرُكُمْ"، أي: بعد أن كنتم نطفاً.

وثانيها: في قوله: ﴿الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ الْبَقَّةُ الْغَمَامَةُ﴾ ؛ والقصر- هنا مفاد من تعريف الجزأين : المبتدأ والخبر ، أو المسند والمسند إليه حيث قصر- صفة التصوير على الحق تبارك وتعالى ، وهو قصر- حقيقي ؛ لأنه كذلك في الواقع ، إذ هو مكون أسباب ذلك التصوير ، وهذا إيماء إلى كشف شبهة النصارى ؛ إذ توهموا في أن خلقه سبحانه عيسى- عليه السلام بدون ماء أب دليل على أنه عليه السلام غير بشر-، وأنه إله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وجعلوا أن التصوير في الأرحام ، وإن اختلفت كيميائياته لا يخرج عن كونه خلقاً لما كان معدوماً ، فكيف يكون ذلك المخلوق المصور في الأرحام إلهاً !! .

وينضح أن القصر- أفاد الدلالة على نفي الإلهية عن غيره تعالى وانحصارها فيه توكيداً لما قبلها ومبالغة في الرد على من ادعى إلهية عيسى- عليه السلام وناسب مجيئاً بعد الوصفين السابقين من العلم والقدرة إذ من هذان الوصفان له هو المتصف بالإلهوية لا غيره ثم أتى بوصف العزة الدالة على عدم النظر أو التناهي في القدرة والحكمة لأن خلقهم على ما ذكر من النمط البديع أثر من آثار ذلك.

ثانياً: دلالات القصر بـ " إنما "

وهذا هو الطريق الثاني من طرق القصر- عند البلاغيين، وهو دون الطريق الأول وهو طريق النفي والاستثناء، " وإنما " وإن شاركت النفي الاستثناء في المعنى العام وهو القصر ، وكونها بمعناه كما هو قول المفسرين إلا أن هناك فروقاً بينها منها:

أنها تستعمل فيما من شأنه أن ينكر، وما والا بالعكس.

أنه لا يصلح معها دخول " من " الزائدة بخلاف ما والا.

وقد جاءت بعض من آيات هذه السورة الكريمة المباركة على هذا الأسلوب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿الْفُرْقَانُ الشَّجَرَةُ الْمُنْتَمِلُ﴾

الْقَصَصُ الْعَجَبُ الْبُرُوقُ الْقَتْمَانُ السَّجْدَةُ الْخَبْرُ نَسَبُ قَطْرِ يَسَّ الصَّافَاتِ حِينَ الْبُرُوقُ عَظَمُ قُضَلَتِ

الشُّوْى الْخَرْقُ الْخَبْرُ الْخَبْرُ الْخَبْرُ الْخَبْرُ الْخَبْرُ الْخَبْرُ الْخَبْرُ الْخَبْرُ الْخَبْرُ (آل عمران: ١٥٥) ، هذه الآية استئناف لبيان سبب الهزيمة الخفي ، وهي استدلال الشيطان بإيهام ، والمراد بيوم التقى الجمعان يوم أحد (الطاهر بن عاشور ، ١٩٩٧م ، ١٤ / ٤) وقد قصر- نظم هذه الآية الكريمة التولي الذي حصل من المؤمنين في موقعة أحد في استدلال الشيطان ، أي: أن ما وقع من مفارقتهم مواقفهم وعصيان أمر الرسول ، والتنازع ، والتعجل إلى الغنمية كان من آثار الشيطان لأنه أوقعهم فيه بعض ما كسبوا من صنعهم ، والمقصود من هذا حصر- تبعة هذا الانهزام على عواقبهم رضوان الله عليهم ، وإبطال ما كان زوره المناقون من رمي تبعته على أمر الرسول (بالخروج ، وتحريض الله المؤمنين على الجهاد ، ولأجل هذا الأمر وتصحيح هذا المفهوم ؛ لجأ النظم الكريم إلى أسلوب القصر ، وهو من قصر القلب صفة على موصوف .

وما يندرج تحت هذا الطريق أيضاً، قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ

اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، وهذه الآية واردة على أسلوب القصر-بـ "إنما"، حيث قصرت الآية الكريمة كيد الشيطان على التخويف بأوليائه، فهذا غاية كيده، فهو من قصر-الموصوف على الصفة، فهو دائماً يجلب على المؤمنين بالخيالات التي تضخم كيد أعدائهم، وبأنهم إن التقوا بهم لن يصمدوا في مواجهتهم سوى وقت قصير، حيث سيكونون بعدها كالعصف المأكول، والشيطان لا يملك كما أخبر الحق سوى هذا السبيل لتقذف الخوف في قلوب عباد الله المؤمنين، ولكن عندما يحين وقت الجد يتبين للمؤمنين الإرهاب الذي ملأ الشيطان به قلوبهم ما كان إلا التخويف؛ لذا ينبغي للمؤمن الحق ألا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى، وألا يلتفت لإرهاب الشيطان وحزبه.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿الْبُؤْسُ يُؤْتِيَنَّ هُوَ يُؤْمِنُ الرَّحْمَنُ الْإِبْرَاهِيمَ الْحَجَرِ الْخَلْقِ الْإِسْرَاءُ الْكَهْفُ فَرَجِهِ

طَلَبُ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجَّ الْمُؤْمِنُونَ النَّوْزُ الْفُرْقَانُ الشُّعْرَاءُ النَّبَلُ﴾ (آل عمران: ١٧٨)، وفي سياق هذه الآية أداتا القصر-أفادت: الأولى: في قوله: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ"

والثانية: في قوله: "إِنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ"، ودلالة المعنى الأولى يفيد قصر-الحق تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة الإملاء على الزيادة في الكفر، أي: ما ثلّي لهم إلا ليزدادوا إثماً، فيكون أخذهم به أشد، ومن ينظر في سياق هذا القصر-لا يخفى عليه أنه قصر-قلب؛ وذلك لأن الكفرة يزعمون أو يظنون في قرارة أنفسهم أن إهمال الله لهم، وإغداقه عليهم النعم إنما هو لرضاه عنهم، وأنهم على الحق، فجاءت هذه الآية الكريمة لتتكسر على هذا الزعم؛ فتجعله هباء منثوراً، كأن لم يكن.

ودلالة سياق المعنى يفيد أن "إنما" الثانية لقصر-الإملاء على الزيادة في الإثم، حتى يوافوا الحق تبارك وتعالى، وقد نالوا جزء ما قدموا من خير في الدنيا إن كانوا فعلاً شيئاً من الخير، والقصر-في هذه الآية الكريمة أيضاً حقيقي؛ لأنه صادر من الحق تبارك وتعالى، وكل ما يقوله الحق فهو في هذه الدرجة.

ثالثاً: دلالات تقديم ما حقه التأخير

ويكون لمقصور متأخراً والمقصور عليه هو المتقدم والتقديم يفيد الحصر ووضوح الصورة؛ إذ يفرق عبد القاهرة "بين قولنا: "ما ضرب زيداً إلا عمرو" وقولنا: ما ضرب عمرو إلا زيداً" بأن الأولى لبيان من الضارب، والثاني لبيان من المضروب، وكذلك ما يتضح في القولين من نفي الشركة؛ فالأولى تعني أن زيداً لم يضربه اثنان، والثانية تعني أن عمراً لم يضرب اثنين" (عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ٢٠٠٣ م، ٣٣٧)

وتقديم ما حقه التأخير يكون بتقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المتعلقات على الفعل أو بعضها على البعض. وبعد ذلك نعرض الآيات المتضمنة السياق اللغوي.

وما يفيد الحصر- بالتقديم مواضع الاستفهام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿(آل عمران: ١٥٨) أى: إليه لا إلى غيره.

ومن التقديم الدال على الاختصاص قوله تعالى: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ يُؤْمِنُ الرَّحْمَنُ الْإِبْرَاهِيمَ الْحَجَرِ الْخَلْقِ الْإِسْرَاءُ

الْكَهْفُ فَرَجِهِ طَلَبُ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجَّ الْمُؤْمِنُونَ النَّوْزُ الْفُرْقَانُ الشُّعْرَاءُ النَّبَلُ الْقَصَصُ الْعَنْكَبُوتُ الرُّؤُوسُ الْقِسْطُ الْبَنَاتُ

الْأَجْنَاسُ سَبْأُ قَطْرُ يَسَرَ الضَّافَاتُ حُلُّ الرِّبْرِ عَقْلُ فَضْلَتِ الشُّوْخُ الْخَزْفُ الشُّجَانُ الْخَالِيَةُ الْإِحْفَالُ مَحَبَّةُ الْبَنَاتِ

لِلْمَحَارِبِ فَتِ الدَّارَاتِ الْظُلُومُ الْغَنِيَةُ الْفَتَكَةُ الْحَزْنُ الْوَأَقَعَةُ الْمَخَالِدُ الْمَحَالِلَةُ الْمُشِيرُ الْمُتَبَحُّثُ﴾ (آل عمران: ٧)

فقدم الجار والمجرور "عليك" على المفعول "الكتاب" للاختصاص، ولبشارة النبي باختصاصه الإنزال دون غيره من أفراد هذه الأمة الأمية، بل دون العالمين في هذا الزمن وعلى فترة من الرسل عليهم السلام.

وتقديم ما حقه التأخير يكون بتقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المتعلقات على الفعل أو بعضها على البعض، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَحَبَّةُ الْبَنَاتِ

لِلْمَحَارِبِ فَتِ الدَّارَاتِ الْظُلُومُ الْغَنِيَةُ الْفَتَكَةُ الْحَزْنُ الْوَأَقَعَةُ الْمَخَالِدُ الْمَحَالِلَةُ الْمُشِيرُ الْمُتَبَحُّثُ الصَّنْفُ الْمَجْعَةُ الْمَبَافُوكُ النَّجَابُ

الظَّلَاقُ الْبَحْثُ الْمَلِكُ الْقَبْلَةُ الْمَقْلَةُ الْمَحَلَّةُ نَوْحُ الْحَقِّ الْمَرْكَلُ الْمُنْذَرُ الْفَيْلَامَةُ الْأَسْثَلُ﴾ (آل عمران: ٢٨)، والقصر في هذه الآية طريقه التقديم، حيث قدم الجار والمجرور "إلى الله" وهو المسند، على المسند إليه "المصير"؛ لإفادة القصر-، فمسير الخلائق كما معتقد أهل التوحيد لله

سبحانه وتعالى ، ليس لهم مصير ولا مرجع إلى غيره ، حيث يجمع الله الأولين والآخرين لفصل القضاء بينهم ، ففريق في الجنة وفريق في السعير ، وهناك يتبرأ كل معبود من عباده ، وكل متبوع من تابعه ، ولا يبقى إلا من تفرّد بالعرز والملك والجبروت سبحانه وتعالى ، وهذا القصر- مقرر لخصوم ما قبله، ونلمح في هذا القصر تعريضاً بالوعيد أكد به صريح التهديد الذي قبله (انظر: الطاهر بن عاشور ، ٣ / ٢٢٢) .

هناك العديد من الآيات المتضمنة للسياق الحالي في باب القصر- فمن ذلك القصر- بـ " بل " في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله

العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فنلاحظ موقع القصر - بـ " بلي " في هذا النظم الكريم ، من حيث الجمال ، وخفته على اللسان ، وإحاطته بالمعنى في قوله : " بلي الله مولائكم " ، فالله تعالى بعد أن نهى المؤمنين عن طاعة الكافرين ، واتخاذهم أولياء ، وأن هذه الطاعة سبب كل بلاء ، أبان أن ولاية المؤمنين يجب أن تكون لله سبحانه وتعالى ، فهو وحده النافع والضار ، وهو سبحانه وتعالى هو الناصر لمن تولاها ، وولايته ليس نفعها منحصراً في الدنيا ، بل يتعدى ذلك إلى الآخرة .

"وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ" أي: أفضل الموصوفين بالوصف، فيما يراد منه، وفي موقعه وفائدته، فالنصر يقصد منه دفع الغلب عن المغلوب، فحتى كان الدفع أقطع للغلب كان النصر - أفضل، ويقصد منه دفع الظلم فحتى كان النصر - قاطعاً للظلم كان موقعه أفضل، وفائدته أكمل، فالنصر - لا يخلو من مدحة؛ لأن فيه ظهور الشجاعة، وإباء الضميمة والتجدة. (الطاهر بن عاشور، ١٩٩٧م، ٤/ ١٢٣)

ومن القصر - بـ " لكن " قوله تعالى: ﴿الْأَصَافَاتِ خِيَمَ الْبَيْتِ فَصَلَاتُ الْيَمِينِ الْحَرُوفِ الدُّجَانِ الْجَانِيَةِ﴾

الأخوة المحترمين القديسين المخلصين (آل عمران ٦٧) ، فالقصر- في هذه الآية الكريمة يفيد التوكيد على إثبات ديانة إبراهيم ولهذا نجد أن لهذا التوكيد قيمته في السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة التي أفادت الاستدراك فبعد أن نفت عن إبراهيم عليه السلام اليهودية والنصرانية لكونه عليه السلام متقدماً عليها في الزمن؛ والإنسان لا ينسب لمن كان متأخراً عنه كما هو المتبادر، ثم حصر- حال إبراهيم عليه السلام فيما يوافق أصول الإسلام، ولذلك بين حنيفاً بقوله مسلماً، لأنهم يعرفون معنى الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام، فأعلمهم أن الإسلام هو الحنيفية.

وهذا القصر - قصر - قلب، وهو حقيقي تحقيقى، وهذه الآية الكريمة مقبسة على قول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الأحزاب: ﴿

المُحَالَّةِ الْجَسَدِ الْمُبْتَحَنَةِ الصُّفَى الْجَمْعَةِ الْمُنَافِقِينَ النَّجَائِزِ الظَّالِقِ الْبَيْحَنِيِّ الْمَلِكِ ﴿٤٠﴾ (الأحزاب: ٤٠) فالمشركون كانوا يعتقدون فيه الأبوة لزيد ونفى الرسالة ، فقلب عليهم المولى اعتقادهم (الدسوقي ، د. ت ١/ ٣٨٣) ؛ لأنه ورد على حد تعبيرهم .

خامساً: القصر بضمير الفصل:

ومن الآيات المتضمنة للسياق اللغوي للنقص - قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ﴾ (آل عمران: ١٠)، فالتعريف بضمير الفصل "هُم"؛
 الإتيان به هنا في هذا السياق لإفادة الاختصاص، وجعلهم نفس الوقود مبالغة في الاحتراق؛ كأن النار لئس لها ما يضرها إلا هم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال تعالى: ﴿بِسْمِ

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ صدقة الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿آل عمران: ٦٣﴾ ، فالتعريف بضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يفيد القصر - الإضافي الحقيقي ، كما يفيد تعريف الطرفين ، والحق وصف للقصص ، وهو المقصود بالإفادة هنا ، أي : إن هذا هو الحق لا ما يدعيه النصارى من كون المسيح عليه السلام الهاً وابن الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فالتعريف هنا بالضمير أفاد القصر - هنا والتأكيد، ودخلت لام الابتداء عليه؛ وذلك لزيادة التأكيد التي أفادها ضمير الفصل (انظر: أبو حيان الأندلسي، ٢٠٣/٣)

ومثل ذلك التعريف بالضمير في قوله تعالى في آخر الآية: ﴿الرَّحِيمُ صِدْقًا لِلَّهِ الْعَظِيمِ﴾ **سُبْحَانَ** فهو هنا أفاد تأكيد

الخبر عن الله تعالى بالعزة والحكم ، والمقصود إبطال الإهوية المسيح عيسى- بن مريم على حسب اعتقاد النصارى ، وهم المخاطبون هنا ؛ فإنهم زعموا أن المسيح قتله اليهود عليهم لعنة الله ؛ وذلك ذلة وعجز لا يلتئمان مع الإلوهية ، فكيف يكون الها وهو غير عزيز وهو محكوم عليه ، وفي هذا أيضاً إبطال لألوهيته؛ لكونه محتاجاً إلى من ينقذه من أيدي الظالمين. (انظر: الطاهر بن عاشور، ١٩٩٧م، ٣، ٢٦٧)

٨. كل أساليب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر معجزة من ناحيتين: الناحية الأولى ناحية المبنى، والناحية الثانية من ناحية الدلالة التي يشتمل عليها هذا البناء.
٩. شكل الالتفات في سورة آل عمران أهمية بالغة في التراكيب بين الجمل حيث ربط السياق النصي للآيات بما يسبقها أو يلحقها مع مراعاة ربطها بالسياق اللغوي.
١٠. من صور الالتفات العدول من الماضي إلى المستقبل وعكسه.
١١. وجود علاقة وثيقة بين علماء النحو والبلاغة في خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.
١٢. أظهر البحث السر البلاغي والنكات البلاغية لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر.
١٣. أظهر البحث خروج الأسلوب الإنشائي من دلالاته الأصلية إلى أغراض بلاغية يتطلبها السياق.
١٤. تنوع أساليب الطلب الاستفهام، والأمر والنهي والتمني والنداء في سورة آل عمران.
١٥. أهمية أسلوب القصر في بيان الوحدة والألوهية لرب العالمين.
١٦. تنوع أسلوب وطرق القصر في سورة آل عمران.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، ضياء الدين (د.ت)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، دار النهضة، مصر، القاهرة، د.ت.
- الأصفهاني، الراغب (١٩٩٢م)، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية، بيروت، دار القلم، دمشق، ط ١.
- الألوسي، شهاب الدين (١٩٨٥)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤.
- الأندلسي، أبو حيان (١٩٩٢م)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت.
- بسيوني فيود (١٤٠٨هـ)، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، مطبعة السعادة، القاهرة.
- البغوي، الحسين بن مسعود (١٩٩٩م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار الكتب، بيروت.
- الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- البقاعي، برهان الدين (١٩٩٢م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ٢.
- أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد القمي البغدادي، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ.
- بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح، دار البيان ودار الهادي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- البيضاوي، ناصر الدين (د.ت)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار صادر، بيروت.
- التفتازاني: المطول، مطبعة أحمد كامل، تركيا، ١٣٣٠هـ.
- جار الله الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٧هـ.
- ابن أبي الحديد (١٩٨٤)، الفلك الدائر على المثل السائر، تقديم وتحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض.
- حسن الندوي: ديوان مري القيس، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ٤، ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م.
- الحلبي، السمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.
- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الدسوقي، حاشية الدسوقي: "ضمن شروح التخليص، دار الكتب، العلمية، بيروت، د.ت.

- الرازي، فخر الدين (١٩٨٩م)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. أحمد حجا السقا، المكتب الثقافي، القاهرة.
- الرازي، فخر الدين (د.ت)، مفاتيح الغيب " التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١.
- رضا، محمد رشيد (د.ت)، تفسير المنار، دار الفكر، بيروت، ط ٢.
- الزجاج، أبو إسحاق (١٤٠٨هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د: عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب، بيروت، ط ١.
- الزركشي، بدر الدين (١٣٩١هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢.
- الزمخشري، جار الله (د.ت)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر ١٩٨٧م، مفتاح العلوم، طبعه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢.
- سيبويه، أبو عمرو بن عثمان (١٩٨٨م)، الكتاب، المحقق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣.
- السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥ م .
- الصاوي، محمد إسماعيل (د.ت)، ديوان جرير، مكتبة النوري، دمشق.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سخنون، تونس، ١٩٩٧م.
- طبانة، بدوي (١٩٨٢م)، معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار العلوم للطباعة، الرياض.
- الطبري، محمد بن جرير (١٩٨٦م)، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، تونس - د.ط.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى (١٩٨١م)، مجاز القرآن، تحقيق: فؤاد ستركين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣.
- العسكري، أبو هلال (١٩٨٦)، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن عطية الأندلسي (٢٠٠٠)، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عطية، مختار (١٩٩٠)، علم المعاني، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: د: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- العبادي أبو السعود بن محمد (د.ت)، إرشاد العقل السليم في تفسير القرآن على مذهب النعمان، دار الكتب، بيروت.
- الفراء، زكريا يحيى بن زياد (١٩٨٣م)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط ٣.
- ابن قيم الجوزية (١٩٧٥)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن فارس، أحمد (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.
- القزويني، أبو علي الخليلي (١٣٠٦هـ)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، مطبعة الباني الحلبي.
- القوجوي، محمد بن مصطفى (د.ت)، حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، محمد أزدمير، تركيا.
- الكفوي، أيوب ابو موسى (د.ت)، الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، دار وهبة، مصر، ١٩٩٩م.
- مطلوب، أحمد (١٩٨٣م)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، الجمع العلمي العراقي، العراق.
- ابن المعتز، عبد الله (١٤١٠هـ)، البديع في البديع، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خلفا، دار الجليل، بيروت.

- ابن منظور، جبال الدين (١٤١٤هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٣.
- النحاس، أحمد بن محمد (١٤٠٧هـ)، إعراب القرآن، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية.
- النحاس، أبو جعفر (١٩٨٨م)، معاني القرآن، تحقيق: محمد بن علي الصابوني، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، مكة المكرمة، ط ١.
- اليمني، العلوي (د.ت)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

Sources and References:

- Abdul Qaher Al-Jarjan, dalayil al'iejaz, edited by: Mahmud Shaker, Al-Khanji Library, Cair, 2003 AD.
- Abu Bakr Ahmed bin Musa bin Al-Abbas bin Mujahid Al-Tamimi Al-Baghdad, kitab alsabeat fi alqira'at, edited by: Shawqi Deif, Dar Al-Maaref, Cair, 1400 AH.
- Abu Hayyan Al-Andalus, albaahr almuahita, Dar Al-Fikr, Beirut, 1412 AH - 1992 AD.
- Abu Ubaida Muammar bin Al-Muthanna (1981 AD), majaz alquran, edited by: Fuad Sterkin, Al-Resala Fundatin, Beirut, 3rd editin.
- Ahmed Badawi: min balaghat alquran, Dar Al-Nahda, Egypt, Cair, D.T.
- Al-Alus, Shihab al-Din (1985), ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathan, Dar Ihya al-Turath al-Arab, Beirut, 4th editin.
- Al-Andalus, Abu Hayyan (1992), albaahr almuhit fi altafsir, Dar Al-Fikr, Beirut.
- Al-Askar, Abu Hilal (1986), alsinaeatayn, edited by: Ali Muhammad Al-Bajjaw, Mdern Library, Beirut.
- Al-Baghaw, Al-Hussein bin Masud (1999 AD), maealim altanzil fi tafsir alquran, Dar Al-Kutub, Beirut.
- Al-Baqalani: 'iejaz alquran, edited by: Ahmed Saqr, Dar Al-Maaref, Cair, D.T.
- Al-Baydaw, Nasser al-Din (D.D.), anwar altanzil wa'asrar altaawil, Dar Sader, Beirut.

- Al-Desuk, Hashiyat Al-Desuki: “Within the Explanatins f Al-Khalis,” Dar Al-Kutub, Al-Ilmiyyah, Beirut, d.d.
- Al-Emadi Abu Al-Saud bin Muhammad (D.D.), iirshad aleaql alsalim fi tafsir alquran ealaa madhhab alnueman, Dar Al-Kutub, Beirut.
- Al-Farra, Zakaria Yahya bin Ziyad (1983), maeani alquran, Wrld f Bks, Beirut, 3rd editin.
- Al-Halab, Al-Samin, aldir almasun fi eulum alkitaab almaknuna, edited and cmmented by: Ali Muhammad Mawad and thers, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st editin, 1994 AD.
- Ali bin Muhammad Al-Jarjan, altaerifat, edited by: Dr. Abdul Rahman Amira, Wrld f Bks, Beirut, 1407 AH.
- Al-Isfahan, Al-Ragheb (1992 AD), Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur’an, Al-Raghib Al-Isfahani (died: 502 AH), edited by: Safwan Adnan Daud, Al-Dar Al-Shamiya, Beirut, Dar Al-Qalam, Damascus, 1st editin.
- Al-Kafaw, Ayub Abu Musa (D.D.), alkuliyaat muejam almustalahat walfuruq allughawiat, edited by: Adnan Darwish and Muhammad Al-Masry, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebann.
- Al-Nahhas, Abu Jaafar (1988 AD), maeani alquran, edited by: Muhammad bin Ali Al-Sabun, Umm Al-Qura University, Scientific Research Center, Mecca, 1st editin.
- Al-Nahhas, Ahmed bin Muhammad (1407 AH), iierab alquran, edited by: Muhammad Muhyiddin, Al-Maktabah Al-Asriyah.
- Al-Qawjaw, Muhammad bin Mustafa (d. T.), hashiat shaykh zatat ealaa tafsir albaydaw, Islamic Library, Muhammad Izdemir, Turkey.
- Al-Qazwin, Abu Ali Al-Khalili (1306 AH), al'iirshad fi maerifat eulama' alhadith, Al-Babi Al-Halabi Press.
- Al-Raz, Fakhr al-Din (1989), nihayat al'ijaz fi dirayat al'iejaz, edited by: Dr. Ahmed Hagga Al-Saqqa, Cultural ffice, Cair.
- Al-Raz, Fakhr al-Din (d.), “Mafatih al-Ghayb” “The Great Interpretatin,” Dar Ihya al-Tarath al-Arab, Beirut, 1st editin.
- Al-Sakak, Yusuf bin Abi Bakr, 1987 AD, miftah aleulum, tabeuh wakatab hawamishah waecalaq ealayhi: Naeem Zarzur, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd editin.

- Al-Sawy, Muhammad Ismail (d.), Diwan Jarir, Al-Nuri Library, Damascus.
- Al-Suyut, Jalal al-Din, al'iitqan fi eulum alquran, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Turath, Cair, 1975 AD.
- Al-Tabar, Muhammad bin Jarir (1986), Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, Dar al-Ma'rifa, Beirut.
- Al-Taftazani: Al-Mutawil, Ahmed Kamel Press, Türkiye, 1330 AH.
- Al-Taher bin Ashur, altahrir waltanwiru, Dar Sahnun, Tunisia, 1997 AD.
- Al-Yaman, Al-Alawi (d. T.), altiraz almutadamin li'asrar albalaghat waeulum haqayiq al'ieejaz, Mdern Library, Beirut, Lebann.
- Al-Zajjaj, Abu Ishaq (1408 AH), maeani alquran wa'ierabuhu, edited by: Dr. Abdul Jalil Abd Shalab, Wrld f Bks, Beirut, 1st editin.
- Al-Zamakhshar, Jarallah (D.D.), alkashaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawil tahqiqu, edited by: Abd al-Razzaq al-Mahd, Dar Ihya' al-Tarath al-Arab, Beirut.
- Al-Zarkash, Badr al-Din (1391 AH), Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'rifa, Beirut, 2nd editin.
- Attia, Mukhtar (1990), eilm almaean, Manshaet Al Maaref, Alexandria.
- Bahaa al-Din al-Subki: earus al'afrah, Dar al-Bayan and Dar al-Had, Beirut, 4th editin, 1394 AH/1974 AD.
- Bassiuni Feyud (1408 AH), ealm almaean, a Rhetrical and Critical Study f the Issues f the Science f Meanings, Al-Saada Press, Cair.
- Hassan Al-Nadubi: Diwan f Mur' Al-Qays, Grand Cmmercial Library, Egypt, 4th editin, 1378 AH, 1959 AD.
- Ibn Abi Al-Hadid (1984), alfalak aldaayir ealaa almathal alsaayir, presented and verified by: Dr. Ahmed Al-Hf, Dr. Badawi Tabana, Dar Al-Rifa, Riyadh.
- Ibn al-Atheer, Diaa al-Din (d.t.), al-methal al-sair fe adeb al-katib walshaar, edited by: Ahmed Al-Hfi and Badawi Tabana, Dar Nahdet Misr, Cair.
- Ibn Al-Mu'tazz, Abdullah (1410 AH), albadie fi albadie, edited by: Dr. Muhammad Abdel Mneim Khafaj, Dar Al-Jeel, Beirut.

- Ibn Ashur, Muhammad Al-Taher (1984 AD), altahrir waltanwiru, Tunisian Publishing Huse, and the Jamahiriya Publishing and Distributin Huse, Tunisia - Dr. I.
- Ibn Attiya Al-Andalusi (2000), Al-Muharrat Al-Wajeez, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebann.
- Ibn Faris, Ahmed (1979), muejam maqayis allughat, edited by: Abdul Salam Harun, Dar Al-Fikr, Beirut.
- Ibn Manzur, Jamal al-Din (1414 AH), lisan alearb, Dar Sader, Beirut, Lebann, 3rd editin.
- Ibn Qayyim Al-Jawziyyah (1975), alruwh fi alkalam ealaa 'arwah al'amwat wal'ahya' bialdalayil min alkitaab walsanat, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.
- Jar Allah Al-Zamakhshar, alkashaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawil, Al-Babī Al-Halabi Press, Egypt, 1367 AH.
- Matlb, Ahmed (1983), muejam almustalahat albalaghiat watatawuriha, Dr. Ahmed Matlub, Iraqi Scientific Academy, Iraq.
- Muhammad Muhammad Abu Musa, khasayis altarakib, Dar Wahba, Egypt, 1999 AD.
- Reda, Muhammad Rashid (D.D.), Tafsir Al-Manar, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd editin.
- Sibawayh, Abu Amr bin thman (1988 AD), alkitab, edited by: Abdul Salam Harun, Al-Khanji Library, Cair, 3rd editin.
- Tabana, Badawi (1982), muejam albalaghat alearabiat, Badawi Tabana, Dar Al-Ulum Printing, Riyadh.